الْمَنْزِلَةُ الْأَدَبِيَّةُ لِلشَّاعِرَةِ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ فِي الْحِقْبَةِ الْمُتَوَكِّلِيَّةِ

براءه حسين الحماده* أ–د: عبد اللطيف عمران**

(الإيداع: 10 آيلول 2025، القبول: 3 تشرين الثاني 2025)

الملخَّص:

تَتَنَاوَلُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ النَّقْدِيَّةُ مَنزِلَةَ الشَّاعِرَةِ فَضْلِ العَبْدِيَّةِ وَتَحْلِيلَ تَجْرِبَتِهَا الشِّعْرِيَّةِ، بِوَصْفِهَا إِحْدَى الشَّخْصِيَّاتِ الأَدَبِيَّةِ النِّسَائِيَّةِ البَارِزَةِ فِي العَصْرِ العَبَّاسِيِّ الثَّانِي، خَاصَّةً فِي ظِلِّ حُضُوْرِهَا فِي بَلَاطِ الخَلِيفَةِ المُتَوَكِّلِ، تَنْبُعُ أَهَمِّيَّةُ البَحْثِ مِنْ كَوْنِ فَضْلِ العَبْدِيَّةِ تُمَثِّلُ أُنْسَاقَ حُضُورِ المَرْأَةِ فِي المَشْهَدِ الشِّعْرِيِّ العَبَّاسِيِّ، كَمَا تُعَدُّ نُصُوصُهَا نَمُوذَجًا لِتَشَكُّلِ قَصِيدَةِ الفِكْرَةِ وَتَجَلِّيَاتِ الصَّوْتِ الأُنْثَوِيِّ فِي بِيئَةٍ يَغْلُبُ عَلَيْهَا الخِطَابُ الذُّكُورِيُّ، وَيَهْدِفُ البَحْثُ بِشَكْلٍ أَسَاسِيٍّ إِلى تَحْلِيلِ مَبَانِي هَذِهِ التَّجْرِبَةِ الشِّعْرِيَّةِ، وَاسْتِكْنَاهِ خَصَائِصِهَا الأُسْلُوبِيَّةِ، وَرَصْدِ مَظَاهِرِ التَّوَتُّرِ بَيْنَ الذَّاتِ وَالمُجْتَمَعِ فِي شِعْرِهَا، تَأْتِي هَذِهِ الدِّرَاسَةُ لِسَدِّ فَجْوَةٍ بَحْثِيَّةٍ وَاضِحَةٍ؛ حَيْثُ اقْتَصَرَتِ الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ عَلَى الجَانِبِ التَّوْثِيقِيِّ وَالبِيُوغْرَافِيِّ، دُونَ تَقْدِيمِ تَحْلِيلٍ فَنِيٍّ نَقْدِيٍّ مُعَمَّقٍ لِبُنْيَةِ الخِطَابِ الشِّعْرِيِّ، أَوْ تَنَاوُلِ مَلَامِحِ الهُوِيَّةِ الأُنْثَوِيَّةِ فِي العَصْرِ العَبَّاسِي، وَلِذَا، تَمَّ تَوْظِيفُ المَنْهَجِ الوَصْفِيِّ التَّحْلِيلِيِّ، مُدَعَّمًا بِمَفَاهِيمِ النَّقْدِ الحَدَاثِيِّ وَالنَّقْدِ الأُنْثَوِيِّ الحَدِيثِ وَالقِرَاءَةِ الثَّقَافِيَّةِ، لِتَجَاوُزِ حُدُودِ الجَمْعِ إِلى تَحْلِيلِ البُنْيَةِ الجَمَالِيَّةِ وَالفِكْرِيَّةِ لِنُصُوصِهَا، وأَظْهَرَتِ النَّتَائِجُ أَنَّ الرِّوَايَاتِ التُّرَاثِيَّةِ المُتَبَايِنَةَ حَوْلَ أَصْلِهَا وَنَسَبِهَا تُعِيدُ تَمْثِيلَ جَدَلِ الهُوِيَّةِ الأُنْثَوِيَّةِ دَاخِلَ الخِطَابِ الأَدَبِيِّ، كَمَا كَشَفَ التَّحْلِيلُ أَنَّ شِعْرَهَا يَعْكِسُ وَعْيًا أُنْثَوِيًّا مُعَقَّدًا؛ إِذْ تَتَمَيَّزُ قَصَائِدُهَا بِبِنَاءِ قَصِيدَةِ الفِكْرَةِ التِي تَبْنِي تَمْثِيلاً رَمْزِيّاً لِعَلَاقَةِ الشَّاعِرَةِ بِالسُّلْطَةِ، وَتُدَوْر إِشْكَالِيَّة الدِّرَاسَةُ حَوْلَ ضَرُورَةِ إِعَادَةِ إِدْمَاجِ فَضْلِ العَبْدِيَّةِ فِي المَشْهَدِ الشِّعْرِيِّ العَبَّاسِيِّ بِوَصْفِهَا صَوْتاً شِعْرِيّاً وَاعِيًا لا مُجَرَّدَ جَارِيَةٍ لِلْقَصْرِ، مُمَثِّلَةً جِسْرًا عِلْمِيّاً بَيْنَ الجُهُودِ التَّوْثِيقِيَّةِ السَّابِقَةِ وَالمُقَارَبَاتِ النَّقْدِيَّةِ الحَدَاثِيَّةِ.

الكَلِمَاتُ المَفْتَاحِيَّةُ: فَضْلُ الشَّاعِرَةِ، الْخَلِيفَةُ الْمُتَوَكِّلُ، النَّقْدُ الْأَدَبِيُّ، التَّحْلِيلُ الْأَدَبِيُّ، القِيْمَةُ الفَنِّيَّة، القَصِيْدَةُ التَارِيْخِيْةُ.

*طالبة دكتوراه، جامعة دمشق، كلّية الآداب، قسم اللّغة العربيَّة.

**أستاذ دكتور في قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها بكليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، جامعة دمشق.

The literary status of the poet Fadl al-Abdiyya during the Mutawakkilite era

*Bara'ah Hussain Hamade **Dr. Abdallatif Omran

(Received: 15 September 2025, Accepted: 3 November 2025)

Abstract:

This critical study examines the poetic standing and artistic trajectory of the poetess Fadl al-'Abidiyya, considering her one of the prominent female literary figures of the second Abbasid era, particularly considering her presence and influence within the court of Caliph al-Mutawakkil. The significance of this research stems from Fadl al- 'Abidiyya's representation of the paradigms of female presence within the Abbasid poetic scene; her texts also serve as a model for the crystallization of the "poem of idea" and the manifestations of the female voice within a predominantly male-dominated discourse. Fundamentally, the study aims to analyze the structural foundations of her poetic experience, explore its stylistic characteristics, and observe the manifestations of tension between the self and society within her poetry. This study addresses a clear research gap; prior scholarship has largely been confined to documentary and biographical aspects, without offering a profound artistic and critical analysis of the structure of her poetic discourse or addressing the features of her feminine identity. Consequently, a descriptive-analytical methodology was employed, supported by concepts from modern critical theory, modern feminist criticism, and cultural reading, to move beyond mere compilation and toward an analysis of the aesthetic and intellectual structure of her texts. The findings revealed that the divergent traditional narratives concerning her origin and lineage re-enact the dialectic of feminine identity within literary discourse. Furthermore, the analysis uncovered that her poetry reflects a complex feminine consciousness, characterized by the construction of the "poem of idea," which builds a symbolic representation of the poetess's relationship with power. The study emphasizes the necessity of reintegrating Fadl al-'Abidiyya into the Abbasid poetic landscape as a conscious poetic voice, not merely a courtly enslaved woman, thereby representing an academic bridge between prior documentary

Keywords: Arabic literature, Abbasid era, Poetess Fadl, Caliph al-Mutawakkil, Literary criticism, Literary analysis.

*PhD student, University of Damascus, Faculty of Arts, Department of Arabic Language.
**Professor in the Department of Arabic Language and Literature at the Faculty of Arts and Humanities, University of Damascus.

المُقَدِّمَةُ:

تُعَدُّ الشَّاعِرَةُ فَضْلُ العَبدِيَّة إِحْدَى الشَّخْصِيَّاتِ الأَدَبِيَّةِ النِّسَائِيَّةِ الْبَارِزَةِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيّ، وَيَتَّصِلُ ذِكْرُهَا بِبِلَاطِ الْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ لِمَا كَانَتْ تَحْظَى بِهِ مِنْ مَنْزِلَةً مُمَيَّزَةٍ فِيهِ، وُلِدَتْ فَضْلُ العَبدِيَّة فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الْمَأْمُونِ بْن الرَّشِيدِ؛ أَيْ بَعْدَ نَحْوِ سَبْعِينَ عَامًا عَلَى تَأْسِيسِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ عَلَى يَدِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ (السُّيُوطِي، 2004م، 216، 271–368).

نَشَأَتْ فِي بِيئَةٍ حَضَارِيَّةٍ بَالِغَةِ الإِزْدِهَارِ وَالتَرَف، تَفَاعَلَتْ فِيهَا الْحَرَكَاتُ الْعِلْمِيَّةُ وَالْفَنِّيَّةُ وَالْأَدَبِيَّةُ فِي ظِلِّ رِعَايَةِ الْخُلَفَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأُدَبَاءِ، وَقَدْ عَاصَرَتِ الشَّاعِرَةُ اضْطِرَابَاتٍ سِيَاسِيَّةً مُمْتَدَّةً تَمَثَّلَتْ فِي الثَّوَرَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ وَصِرَاعَاتِ الْبَيْتِ الْعَبَّاسِيّ مَعَ الطَّالِبِيِّينَ، وَحَتَّى فِيمَا بَيْنَ أَفْرَادِهِ، كَمَا شَهِدَتْ تَعَاقُبَ الْخُلَفَاءِ وَتَسَاقُطَهُمْ فِي فَتَرَاتٍ وَجِيزَةٍ (الْمَسْعُودِي، د.ت، 191/4).

وَتَكْتَسِبُ فَضْلُ العَبدِيَّة أَهَمِّيَّتَهَا الأَدَبِيَّةَ بِوَصْفِهَا أُنْسَاقًا تُمَثِّلُ حُضُورَ الْمَرْأَةِ فِي الْمَشْهَدِ الشِّعْرِيِّ الْعَبَّاسِيّ؛ إِذْ انْخَرَطَتْ فِي الْحَيَاةِ الأَدَبِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلْقَصْرِ، وَشَارَكَتْ فِي مَجَالِسِ الْمُتَوَكِّلِ الْأَدَبِيَّةِ مَعَ نُدَمَائِهِ وَشُعَرَائِهِ الَّذِينَ حَظُوا بِالْقُرْبِ وَالْمَكَانَةِ (ضِيف، 1984م، 23، 27).

وَمِنْ هُنَا تَنْبُعُ قِيمَةُ دِرَاسَةِ تَجْرِبَتِهَا الشِّعْرِيَّةِ فِي ضَوْءِ مَفَاهِيمِ النَّقْدِ الْحَدَاثِيّ؛ إِذْ تُمَثِّلُ نَصُوصُهَا نَمُوذَجًا دَالّاً عَلَى تَشَكُّلِ قَصِيدَةِ الْفِكْرَةِ وَتَجَلِّيَاتِ الصَّوْتِ الأُنْثَوِيّ فِي بِيئَةٍ يَغْلِبُ عَلَيْهَا الْخِطَابُ الذُّكُورِيُّ، وَيَهْدِفُ هَذَا الْبَحْثُ إِلَى تَحْلِيلِ مَبَانِي التَّجْرِبَةِ الشِّعْرِيَّةِ لَدَى فَضْلٍ، وَاسْتِكْنَاهِ خَصَائِصِهَا الأُسْلُوبِيَّةِ وَمَظَاهِرِ التَّوَتُّرِ بَيْنَ الذَّاتِ وَالْمُجْتَمَعِ، وَذَلِكَ فِي إِطَارِ قِرَاءَةٍ نَقْدِيَّةٍ حَدَاثِيَّةٍ تَسْتَعِينُ بِمَفَاهِيمِ الذَّاتِ الشِّعْرِيَّةِ وَالْجِنْسَانِيَّةِ الْأَدَبِيَّةِ وَالْحِسَاسِيَّةِ الْجَمَالِيَّةِ فِي تَشْكِيلِ النَّصّ.

أَدَبِيَّاتُ الْبَحْثِ وَمَوْقِعُ الدِّرَاسَةِ بَيْنَ الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ:

تُعَدُّ الدِّرَاسَاتُ الَّتِي تَنَاوَلَتِ الشَّاعِرَةَ فَضْلَ الْعَبْدِيَّةِ مَحْدُودَةً نِسْبِيّاً فِي سِيَاقِ الْبَحْثِ الْأَدَبِيِّ الْحَدِيثِ؛ إِذِ اقْتَصَرَ الاِهْتِمَامُ بِهَا غَالِبًا عَلَى إِشَارَاتٍ عَابِرَةٍ فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ وَالْأَدَبِ، دُونَ تَنَاوُلٍ شَامِلٍ لِتَجْرِبَتِهَا الْفَنِّيَّةِ وَالنَّقْدِيَّةِ، وَمِنْ أَبْرَزِ الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ الَّتِي تَنَاوَلَتْ شَخْصِيَّتَهَا وَشِعْرَهَا بِصِفَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ دِرَاسَتَانِ رَئِيسِيَّتَانِ:

الْأُولَى: هِيَ دِرَاسَةُ «فَضْلُ الْعَبْدِيَّةِ: حَيَاتُهَا وَشِعْرُهَا» لـ (قُرْشِيّ عَبَّاسِ دَنْدَرَاوِيَ)، الَّتِي رَكَّزَتْ عَلَى جَمْعِ النُّصُوصِ الشِّعْرِيَّةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَى الشَّاعِرَةِ وَتَحْقِيقِهَا فِي ضَوْءِ مَصَادِرِ التُّرَاثِ، مَعَ إِيرَادِ تَرْجَمَةٍ مُوَسَّعَةٍ لِحَيَاتِهَا وَسِيَاقِهَا التَّارِيخِيِّ وَالِاجْتِمَاعِيّ، وَقَدِ اتَّسَمَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ بِطَابَعِهَا التَّوْثِيقِيّ، فَاقْتَصَرَتْ عَلَى الْجَانِبِ الْبِيُوغْرَافِيِّ وَالرَّصْدِ النَّصِّيِّ دُونَ تَحْلِيلٍ فَنِيٍّ أَوْ نَقْدِيٍّ مُعَمَّقٍ لِبُنْيَةِ الْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ أَوْ مَلَامِحِ الْهُوِيَّةِ الأُنْثَوِيَّةِ فِيهِ.

أَمَّا الدِّرَاسَةُ الثَّانِيَةُ: فَهِيَ «دِرَاسَةٌ فِي شِعْرِ فَضْلِ (الْعَبْدِيَّةِ) جَارِيَةِ الْمُتَوَكِّلِ: جَمْعٌ وَدَرْسٌ» لـ (مَحْمُودِ رِزْقِ حَامِدٍ)، الْمَنْشُورَةُ فِي مَجَلَّةِ الدِّرَايَةِ، جَامِعَةُ الْأَزْهَرِ، مُج.10، ع.10، ج.2، 2009م، فَقَدِ اتَّخَذَتْ مِنْحًى أَقْرَبَ إِلَى التَّحْقِيقِ النَّصِّيِّ؛ إِذْ سَعَتْ إِلَى جَمْعِ الْمَرْوِيَّاتِ الشِّعْرِيَّةِ الْمُتَفَرِّقَةِ فِي الْمَصَادِرِ التُّرَاثِيَّةِ وَدِرَاسَتِهَا لُغَوِيّاً وَمَوْضُوعِيّاً، غَيْرَ أَنَّ الدِّرَاسَةَ –عَلَى أَهَمِّيَّتِهَا– ظَلَّتْ مَحْكُومَةً بِالْإِطَارِ التَّقْلِيدِيِّ فِي التَّحْلِيلِ، وَاقْتَصَرَتْ عَلَى قِرَاءَةٍ وَصْفِيَّةٍ لِلنُّصُوصِ دُونَ تَوْظِيفٍ لِلْأَدَوَاتِ النَّقْدِيَّةِ الْحَدِيثَةِ أَوْ مُقَارَبَةٍ جَمَالِيَّةٍ تَتَنَاوَلُ عِلَاقَةَ النَّصِّ بِسِيَاقِهِ الثَّقَافِيِّ وَالْفِكْرِيّ.

فِي ضَوْءِ ذَلِكَ، تَتَبَيَّنُ الْفَجْوَةُ الْبَحْثِيَّةُ الَّتِي يَسْعَى هَذَا الْبَحْثُ إِلَى سَدِّهَا، وَالْمُتَمَثِّلَةُ فِي غِيَابِ الْقِرَاءَةِ النَّقْدِيَّةِ الْحَدَاثِيَّةِ لِشِعْرِ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ، الَّتِي تَتَجَاوَزُ حُدُودَ الْجَمْعِ وَالتَّوْثِيقِ إِلَى تَحْلِيلِ الْبُنْيَةِ الْجَمَالِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ لِلنُّصُوصِ، وَيُقَدِّمُ هَذَا الْبَحْثُ إِضَافَةً نَوْعِيَّةً مِنْ خِلَالِ تَطْبِيقِ مَنْهَجٍ وَصْفِيٍّ تَحْلِيلِيٍّ مُدَعَّمٍ بِمَفَاهِيمِ النَّقْدِ الأُنثَوِيّ الْحَدِيثِ وَالْقِرَاءَةِ الثَّقَافِيَّةِ لِلنَّصِّ الشِّعْرِيِّ الْعَبَّاسِيّ، لِلْكَشْفِ عَنْ تَمَثُّلَاتِ الذَّاتِ الْأُنْثَوِيَّةِ، وَتَجَلِّيَاتِ الْوَعْيِ الأُنثَوِيّ، وَالْبُنْيَةِ الْأُسْلُوبِيَّةِ وَالْفَنِّيَّةِ لِشِعْرِ الشَّاعِرَةِ فِي إِطَارِهَا الاِجْتِمَاعِيِّ وَالسِّيَاسِيّ.

وَعَلَيْهِ، يَنْدَرِجُ هَذَا الْبَحْثُ ضِمْنَ الدِّرَاسَاتِ الَّتِي تُرَبِّطُ بَيْنَ التُّرَاثِ وَالتَّحْلِيلِ النَّقْدِيِّ الْمُعَاصِرِ، مُمَهِّداً لِقِرَاءَةٍ جَدِيدَةٍ تُعِيدُ إِدْمَاجَ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ فِي الْمَشْهَدِ الْأَدَبِيِّ الْعَبَّاسِيّ، لَا بِوَصْفِهَا مُجَرَّدَ جَارِيَةٍ أَوْ شَاعِرَةِ الْقَصْرِ؛ بَلْ بِوَصْفِهَا صَوْتاً شِعْرِيّاً أُنْثَوِيّاً وَاعِياً أَسْهَمَ فِي إِثْرَاءِ الْخِطَابِ الْأَدَبِيِّ الأُنثَوِيّ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الثَّانِي، وَمِنْ ثَمَّ، فَإِنَّ الدِّرَاسَةَ الْحَالِيَّةَ تَمَثِّلُ جِسْراً عِلْمِيّاً بَيْنَ

الْجُهُودِ التَّوْثِيقِيَّةِ السَّابِقَةِ وَالْمُقَارَبَاتِ النَّقْدِيَّةِ الْحَدَاثِيَّةِ اللَّاحِقَةِ، وَتَفْتَحُ أُفُقاً مَعْرِفِيّاً جَدِيداً فِي دِرَاسَةِ الْإِبْدَاعِ الأُنثَوِيّ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيّ الْقَدِيمِ.

(1)–القِسمُ النَّظَرِيُّ:

نَبْذَةٌ عَنْ حَيَاتِهَا:

الوِلادَةُ وَالنَّشْأَةُ:

تُعَدُّ الشَّاعِرَةُ فَضْلُ العَبدِيَّة مِنَ الأَسْمَاءِ النِّسَائِيَّةِ البَارِزَةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ وَالأَدَبِ الْعَبَّاسِيّ، فَقَدِ اشْتُهِرَتْ فِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ بِـ (فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ)، غَيْرَ أَنَّ الْمُتَقَدِّمِينَ مِمَّنْ ذَكَرُوهَا وَتَرْجَمُوا لَهَا أَطْلَقُوا عَلَيْهَا فِي الأَعَمِّ الأَغْلَبِ لَقَبَ فَضْلِ الشَّاعِرَةِ، دُونَ إِضَافَةٍ قَبَلِيَّةٍ أَوْ نَسَبِيَّةٍ، وَقَدِ اتَّفَقَتِ الْمَصَادِرُ عَلَى أَنَّ اسْمَهَا «فَضْل»، وَهُوَ اسْمٌ يُطْلَقُ عَلَى النِّسَاءِ، وَإِنْ كَانَ نَادِراً، كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الرِّجَالِ إِذَا قُرِنَ بِأَدَاةِ التَّعْرِيفِ، وَيَدُلُّ فِي اللُّغَةِ عَلَى مَعَانِي الإِحْسَانِ وَالزِّيَادَةِ وَنَقِيضِ النَّقْصِ (ابْنُ مَنْظُورٍ، د.ت، 542/11)، أَمَّا مَوْلِدُهَا، فَلَمْ تَرِدْ فِي الْمَصَادِرِ تَارِيخَيةٌ دَقِيقَةٌ أَوْ تَقْرِيبِيَّةٌ لِسَنَةِ وِلادَتِهَا، وَذَلِكَ لِمَا يَعْتَرِي كُتُبَ التَّرَاجِمِ مِنْ فُجَوَاتٍ فِي التَّوْقِيتِ حَتَّى لِكِبَارِ الأَعْلَامِ، غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ الرِّوَايَاتِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مِنْ مَوَالِيدِ الْيَمَامَةِ[1]، وَكَانَتْ أُمُّهَا أَيْضاً مِنْ أَهْلِهَا، وَفِيهَا وُلِدَتْ وَنَشَأَتْ، ثُمَّ آوَاهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْقَيْسِ فَقَامَ عَلَى تَأْدِيبِهَا وَتَهْذِيبِهَا، ثُمَّ بَاعَهَا، فَاشْتَرَاهَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَجِ الرُّخَجِيُّ[2] وَقَدَّمَهَا هَدِيَّةً إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ، وَتُجْمِعُ الرِّوَايَاتُ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَفْصَحِ نِسَاءِ زَمَانِهَا وَأَبْلَغِهِنَّ شِعْراً (ابْنُ الْجَوْزِي، 1415هـ/1995م، 134/12).

تَكْشِفُ هَذِهِ السِّيرَةُ الأُولَى عَنْ وَعْيٍ تَكْوِينِيٍّ لِفَضْلٍ تَمَحْوَرَ حَوْلَ ثُقَافَةِ الْقَصْرِ وَمُؤَسَّسَاتِ الرِّعَايَةِ الأَدَبِيَّةِ، وَهُوَ مَا سَيُسَهِمُ فِي بِنَاءِ هُوِيَّتِهَا الشِّعْرِيَّةِ فِي مَا بَعْدُ، فَالنَّشْأَةُ الْمَسُودَةُ بِظِلِّ السُّلْطَةِ تَفْتَحُ أُفُقاً تَحْلِيلِيّاً لِقِرَاءَةِ نُصُوصِهَا فِي ضَوْءِ مَفَاهِيمِ الذَّاتِ الشِّعْرِيَّةِ وَالانْتِمَاءِ الاجْتِمَاعِيِّ وَإِعَادَةِ تَمْثِيلِ الْمَرْأَةِ فِي الْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ الْعَبَّاسِيّ.

أَصْلُهَا وَنَسَبُهَا:

تُجْمِعُ الْمَصَادِرُ الأَدَبِيَّةُ وَالتَّرَاجِمِيَّةُ عَلَى أَنَّ أُمَّ فَضْلٍ كَانَتْ مُوَلَّدَةً[3] مِنْ مَوَالِي الْيَمَامَةِ، وَهُوَ الْمَا ذَكَرَهُ أَبُو الْفَرَجِ الأَصْفَهَانِيُّ فِي كِتَابَيْهِ الأَغَانِي وَالإِمَاءِ الشَّوَاعِرِ، وَتُعَدُّ رِوَايَتُهُ أَوَّلَ مَصْدَرٍ نَصَّ صَرَاحَةً عَلَى أَنَّ فَضْلاً وُلِدَتْ بِالْيَمَامَةِ (الأَصْفَهَانِيُّ، 1371هـ/1952م، 301/19؛ وَالأَصْفَهَانِيُّ، 1404هـ/1984م، ص 60)، وَلَمْ تَذْكُرِ الْمَصَادِرُ الْمُتَقَدِّمَةُ مُدَّةَ إِقَامَتِهَا فِي الْيَمَامَةِ، وَلَا تَوْقِيتَ نَقْلِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ، كَمَا لَا يُعْرَفُ شَيْءٌ يَقِينِيٌّ عَنْ أَبِيهَا أَوْ عَنْ مَرَاحِلِ نَشْأَتِهَا الأُولَى، إِلَّا مَا رَوَاهُ الأَصْفَهَانِيُّ وَنَقَلَهُ عَنْ أَخْبَارِ الرُّوَاةِ الْمُتَقَدِّمِينَ.

وَقَدْ أَوْرَدَ الأَصْفَهَانِيُّ رِوَايَتَيْنِ تَفْتَرِقَانِ فِي بَيَانِ أَصْلِهَا وَوَضْعِهَا الاجْتِمَاعِيِّ فَفِي الأُولَى: يَنْقُلُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدِ عَبْدِ الْجَرَّاحِ –صَاحِبِ كِتَابِ الْوَرَقَةِ– أَنَّهَا عَبْدِيَّةٌ، وَأَنَّهَا كَانَتْ تُقِرُّ بِذَلِكَ، وَتَدَّعِي أَنَّ أُمَّهَا حَمَلَتْ بِهَا مِنْ مَوْلًى لَهَا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، فَمَاتَ وَهِيَ حَامِلٌ، فَبَاعَهَا ابْنُهُ، فَوُلِدَتْ فَضْلُ العَبدِيَّة عَلَى سَبِيلِ الرِّقِّ (الأَصْفَهَانِيُّ، 1404هـ/1984م، 60)، أَمَّا الرِّوَايَةُ الثَّانِيَةُ: فَتُفِيدُ أَنَّ أُمَّهَا وَلَدَتْهَا فِي حَيَاةِ أَبِيهَا، فَرَبَّاهَا وَأَدَّبَهَا وَأَقَرَّ بِنَسَبِهَا، ثُمَّ لَمَّا تُوُفِّيَ تَوَاطَأَ بَنُوهُ –مِنْ غَيْرِ أُمِّهَا– عَلَى بَيْعِهَا وَجَحْدِ نَسَبِهَا، فَصَارَتْ فِي عِدَادِ الإِمَاءِ، وَبِعْدَ إِعْتَاقِهَا عُرِفَتْ بِلَقَبِ "فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ"، وَقَدِ انْتَهَى أَمْرُهَا –بِحَسَبِ الرِّوَايَةِ نَفْسِهَا– إِلَى أَنْ اشْتَرَاهَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَجِ الرُّخَجِيُّ وَقَدَّمَهَا هَدِيَّةً إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ (الأَصْفَهَانِيُّ، 1371هـ/1952م،

([1]) –هما ابنا فرج بن زياد الرَّخجي، والرَّخجي: منسوب إلى رخَّج تعريب رخو، ورخج كورة من نواحي "كابل" (الحموي، 1399ه-1979م، مادة رخج)، وكان زياد الرَّخجي من سبي معن بن زائدة، وكان فرج مملوكًا لمحمَّدونة بنت الرَّشيد، ولحق ولاؤه بالرَّشيد، وقد قلَّده الأهواز، وكان عمر بن فرج من أعيان الكتاب في أيَّام المأمون إلى أيَّام المتوكِّل، وكان أخوه محمَّد حسن الوجه، كثير الأموال، (الأصفهاني، 1371ه-1952م، 19-136-137) و(العمروسي، 1984م، من ص213 وما بعدها).

([2]) –المولَّدة: (بكسر اللام): القابلة، والمولَّدة (بفتح اللام)، الوليدة: الجارية المولَّدة بين العرب أو الَّتي ولدت بأرض ليس بها إلَّا أبوها وأمُّها، وجارية مولَّدة: تولد بين العرب، وتنشأ مع أولادهم، ويغذُّونها غذاء الولد، ويعلِّمونها من الأدب ما يعلِّمون أولادهم، (ابن منظور، د/تا، مادة: ولد، ص 4915-4916).

([3]) –شكلة: أي ذات الدَّلّ، والشَّكل: غنج المرأة وغزلها وحسن دلّها (انظر: ابن منظور، د/تا، 2312/4).

301/19)، تَظْهَرُ هَاتَانِ الرِّوَايَتَانِ كَمُتَقَابِلَيْنِ فِي بِنْيَةِ السَّرْدِ التَّرَاجِمِيّ؛ إِذْ تُمَثِّلُ الأُولَى سِيَاقاً لِتَكْرِيسِ الْهُوِيَّةِ الْعَبْدِيَّةِ وَالْمَنْشَأِ الرِّقِّيّ، فِيمَا تُقَدِّمُ الثَّانِيَةُ صُورَةَ الِاعْتِرَافِ الْأَبَوِيّ وَالْمَشْرُوعِيَّةِ النَّسَبِيَّةِ، وَفِي ضَوْءِ مَقَارَبَةٍ نَقْدِيَّةٍ حَدَاثِيَّةٍ يُمْكِنُ قِرَاءَةُ هَذَا الِاخْتِلَافِ فِي سِيَاقِ إِعَادَةِ تَمْثِيلِ الْهُوِيَّةِ الأُنْثَوِيَّةِ فِي الْخِطَابِ الأَدَبِيّ، حَيْثُ يَتَرَاوَحُ التَّصْوِيرُ بَيْنَ مَرْأَةٍ مَسْلُوبَةِ الْمَنْشَأ وَأُخْرَى مُعْتَرَفٍ بِهَا فِي الْبِنْيَةِ الأُسَرِيَّةِ، وَذَلِكَ يُضْفِي عَلَى سِيرَتِهَا بُعْدًا سِيمْيَائِيّاً يُسَهِمُ فِي فَهْمِ حُضُورِهَا الشِّعْرِيّ الْمُعَقَّدِ فِي الْبِلَاطِ الْعَبَّاسِيّ.

صِفَاتُ الشَّاعِرَةِ فَضْلٍ وَسِمَاتُهَا:

تؤَكِّد الْمَصَادِرُ التُّرَاثِيَّةُ الَّتِي تَرْجَمَتْ لِفَضْلٍ أَنَّهَا كَانَتْ تَتَمَتَّعُ بِقَدْرٍ كَبِيرٍ مِنَ الْجَمَالِ وَالثَّقَافَةِ وَالطَّلَاقَةِ اللُّغَوِيَّةِ، وَقَدْ قَدَّمَهَا كُلٌّ مِنَ ابْنِ الْمُعْتَزِّ وَأَبِي الْفَرَجِ الأَصْفَهَانِيّ فِي صُوَرٍ تُبْرِزُ جَمَالَهَا الْحِسِّيَّ وَرُقِيَّهَا الْفِكْرِيَّ مَعًا، فَقَدْ رَوَى ابْنُ الْمُعْتَزِّ عَنْ أَحَدِ مُعَاصِرِيهَا أَنَّهَا: "كَانَتْ فِي نِهَايَةِ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ وَالْفَصَاحَةِ وَاللُّسْن" (ابْنُ الْمُعْتَزّ، د.ت، 426)، وَيُفَصِّلُ الأَصْفَهَانِيُّ تِلْكَ الصُّورَةَ، فَيَقُولُ: "كَانَتْ سَمْرَاءَ، حَسَنَةَ الْوَجْهِ وَالْقَدِّ وَالْجِسْمِ، شَكْلَةً[1]، حُلْوَةً، أَدِيبَةً، فَصِيحَةً، سَرِيعَةَ الْهَاجِسِ، مَطْبُوعَةً" (الأَصْفَهَانِيُّ، 1404هـ/1984م، 60).

وَيَضِيفُ أَبُو نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ[2] إِلَى ذَلِكَ وَصْفاً أَخْلَاقِيّاً؛ إِذْ قَالَ: "كَانَتْ فَضْلُ العَبدِيَّة مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهاً وَخَلْقاً وَخُلُقاً" (الأَصْفَهَانِيُّ، 1404هـ/1984م، 60)، وَعَلَى النَّقِيضِ مِنْ تِلْكَ الصُّوَرِ الْمُثْلَى، أَوْرَدَ الْبَغْدَادِيُّ وَالسُّيُوطِيُّ وَغَيْرُهُمَا مَا رَوَاهُ ابْنُ النَّجَّارِ أَنَّهَا: "كَانَتْ شَاعِرَةً مَاجِنَةً، مِنْ أَظْرَفِ أَهْلِ زَمَانِهَا، وَلَهَا أَخْبَارٌ مِلَاحٌ مَدَوَّنَة" (الْبَغْدَادِيُّ، 1968م، 84)؛ و(السُّيُوطِيُّ، 2004م، 50).

تُبَيِّنُ هَذِهِ الشَّهَادَاتُ الْمُتَنَاقِضَةُ تَعَدُّدَ زَوَايَا النَّظَرِ إِلَى شَخْصِيَّةِ فَضْلٍ، وَتُظْهِرُ الِانْقِسَامَ بَيْنَ الصُّورَةِ الأَدَبِيَّةِ وَالْخِطَابِ الأَخْلَاقِيّ فِي تَقْيِيمِ الْمَرْأَةِ الشَّاعِرَةِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيّ، فَفِي حِينٍ يُمَجِّدُ بَعْضُ الرُّوَاةِ فَضْلاً كَمِثَالٍ لِلْمَرْأَةِ الْمُثَقَّفَةِ الْبَلِيغَةِ، يُقَدِّمُهَا آخَرُونَ فِي إِطَارٍ يُشِيءُ الْأُنْثَى وَيُقَزِّمُ صَوْتَهَا الشِّعْرِيَّ تَحْتَ مَظَلَّةِ الْمَجُونِ وَالظَّرْفِ، وَفِي الْمُقَارَبَةِ الْحَدَاثِيَّةِ يُمْكِنُ قِرَاءَةُ هَذَا التَّنَاوُبِ بَيْنَ التَّقْدِيسِ وَالتَّشْيِئِ فِي ضَوْءِ جِدَلِ الْهُوِيَّةِ الأُنثَوِيَّةِ وَالسُّلْطَةِ الذُّكُورِيَّةِ؛ حَيْثُ يَتَجَسَّدُ فِي شَخْصِيَّتِهَا تَوَتُّرُ الْمِثَالِ وَالْمَحْظُورِ، وَهُوَ تَوَتُّرٌ سَيَنْعَكِسُ فِي بِنْيَةِ نُصُوصِهَا الشِّعْرِيَّةِ فِي مَا بَعْدُ.

حَيَاةُ فَضْلٍ العَاطِفِيَّةُ:

تُعَدُّ الحَيَاةُ العَاطِفِيَّةُ لِلشَّاعِرَةِ فَضْلٍ مِنَ الجَوَانِبِ الَّتِي أَثَّرَتْ فِي تَجْرِبَتِهَا الشِّعْرِيَّةِ، وَأَكْسَبَتْهَا مِسَاحَةً وَاسِعَةً مِنَ التَّنَوُّعِ وَالْعُمْقِ النَّفْسِيّ، فَقَدْ تَمَلَّكَ قَلْبَهَا –طِوَالَ خِلَافَةِ المُتَوَكِّلِ– ثَلَاثَةُ رِجَالٍ، كَانَ أَوَّلُهُمْ الخَلِيفَةَ المُتَوَكِّلَ نَفْسَهُ، الَّذِي أُعْجِبَ بِمَلَكَتِهَا الأَدَبِيَّةِ وَظَرَافَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهُ سُرْعَانَ مَا انْصَرَفَ عَنْهَا، فَلَمْ تَجِدْ إِلَى قَلْبِهِ سَبِيلاً؛ أَمَّا الثَّانِي فَهُوَ سَعِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ[3]، وَقَدْ رَبَطَتْ بَيْنَهُمَا عِلَاقَةُ مَوَدَّةٍ وَمَيْلٍ عَاطِفِيٍّ تَحَدَّثَ عَنْهَا الأَدَبِيُّونَ، فَكَانَ أَكْثَرَ مَنْ عَشِقَتْهُ فَضْلُ العَبدِيَّة وَتَعَلَّقَتْ بِهِ فِي تِلْكَ الفَتْرَةِ، ثُمَّ

(1) -أبو نصر المروزي: لم أهتدِ إلى ترجمة أبي نصر هذا، وراوي الأخبار الَّتي تتعلَّق بفضل وعريب وإبراهيم بن المدبر هو عبد الله بن محمَّد المروزي، والمروزي نسبة إلى مرو الشاهجان أشهر مدن خراسان، وزادوا في النِّسبة إليها زايًا، وهي قصبة بلاد خراسان على نهر مرغاب، فتحها الأحنف بن قيس في خلافة عمر(انظر: الذَّهبي، 748هـ-1374م، 12/ 438).

(2)- سعيد بن حميد بن سعيد أبو عثمان260ه-873م شاعرٌ عباسيٌ ظريف، وكاتب مترسّل، من أبناء الدهاقين في النهروان الأوسط، وُلد ببغداد وتنقّل بينها وبين سامراء، تولّى ديوان الرسائل في عهد الخليفة المستعين العبَّاسي، واشتهر بذكائه الأدبي وحضوره البديهي في مجالس الظرفاء، اتسم شعره برقة اللفظ وعذوبة المعاني، وقد نحا فيه منحى عمر بن أبي ربيعة ومن شابهه من شعراء الغزل، كانت له مناقضات مشهورة مع =الشاعرة فضل، وكثير من أخباره امتزجت =بالمبالغات والأساطير، وتناقل الأدباء أخباره بوصفه شخصية أدبية لافتة في عصره، من مؤلفاته: انتصاف العجم من العرب (ويُعرف بكتاب التسوية)، وديوان رسائل، وديوان شعر صغير (ابن النديم، 1971م، 185) و(الأصفهاني، 1371ه-1952م، 18/154-167).

(3)- بنان بن عمرو المغني: شاب طرير، حسن الوجه والغناء، سري الملبوس، عطر الشكل، أعجبت فضل به فذهب بها كل مذهب، وأظهرت نحوه الكثير من التودد والإعجاب، كانت تلتقي به في بلاط الخليفة المتوكل، هي تقول الشعر، وهو يغنيه، (الأصفهاني، 1404ه-1984م، 78).

جَاءَ بَعْدَهُ بَنَّانُ بْنُ عَمْرٍو المُغَنِّي[1]، وَهُوَ آخِرُ مَنْ أَسَرَ قَلْبَهَا، وَقَدْ خَالَفَتْ فَضْلُ العَبدِيَّة فِي هَذِهِ العَلَاقَةِ طَبِيعَةَ المَجَالِسِ الخَلِيفِيَّةِ، فَكَتَمَتْ هَوَاهَا تَحَفُّظاً وَصَوْناً لِمَنزلتها، وَخَاصَّةً أَنَّ المُتَوَكِّلَ كَانَ يَجْمَعُهُمَا فِي مَجَالِسِهِ دُونَ أَنْ يَعْلَمَ بِمَا يَكْتُمَانِهِ مِنْ مَشَاعِرَ، وتُصَوِّرُ هَذِهِ العَلَاقَاتُ المُتَعَاقِبَةُ مَا كَانَ يَعْتَمِلُ فِي نَفْسِ فَضْلٍ مِنْ أَحَاسِيسَ مُتَنَاقِضَةٍ بَيْنَ الشَّغَفِ وَالكِبْرِ، وَمَا أَثْمَرَتْهُ مِنْ تَجَارِبَ شِعْرِيَّةٍ تَمِيلُ إِلَى البَوْحِ الرَّقِيقِ وَالعِفَّةِ المُغَلَّفَةِ بِالإِيحَاءِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا أَوْرَدَهُ الأَصْفَهَانِيُّ فِي "الإِمَاءِ الشَّوَاعِرِ" حَيْثُ أَشَارَ إِلَى أَنَّ المُتَوَكِّلَ كَانَ يَجْمَعُ فَضْلاً وَبَنَّاناً فِي مَجَالِسِهِ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ بِسِرِّ العَلَاقَةِ الَّتِي كَانَتْ تَرْبِطُ بَيْنَهُمَا (الأَصْفَهَانِيُّ، 1404هـ–1984م،75).

وَفَاتُهَا:

لَمْ تُسَجَّلْ فِي الْمَصَادِرِ الْمُبَكِّرَةِ سَنَةُ وَفَاةِ الشَّاعِرَةِ فَضْلٍ بِدِقَّةٍ، فَلَمْ يُذْكَرْ فِي كُتُبِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ وَأُخْرِجَتْ تَرَاجِمُهُ لِشَخْصِيَّتِهَا دُونِ تَوْقِيتٍ وَاضِحٍ، وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَيٍّ مِنَ الرُّوَاةِ الْقُدَمَاءِ مَا إِذَا كَانَ ابْنُ الْجَرَّاحِ قَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَقَدْ أَهْمَلَ أَبُو الْفَرَجِ الأَصْفَهَانِيُّ ذِكْرَ سَنَةِ وَفَاتِهَا فِي كِتَابَيْهِ الأَغَانِي وَالإِمَاءِ الشَّوَاعِرِ، وكان أَوَّلُ مَنْ أَسْرَدَ سَنَةَ وَفَاتِهَا هُوَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِهِ الْمُنْتَظَمِ فِي تَارِيخِ الْمُلُوكِ وَالْأُمَمِ، وَالَّتِي أَفَادَ أَنَّهَا كَانَتْ فِي سَنَةِ (257هـ)، وَيَرِدُ فِي كِتَابِ الْبَغْدَادِيِّ نِسَاءُ الْخُلَفَاءِ تَأْكِيدٌ لِذَلِكَ؛ حَيْثُ يَقُول: "وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ أَنَّ فَضْلَ الشَّاعِرَةِ تُوُفِّيَتْ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ" (الْبَغْدَادِيُّ، 1968م، 90)، وَعَنْ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، يُشِيرُ شُوقِي ضِيفٌ إِلَى تَنَوُّعِ آراءِ الْمُؤَرِّخِينَ فِي تَارِيخِ وَفَاتِهَا، فَيَقُولُ: "اِخْتَلَفَ فِي زَمَنِ وَفَاتِهَا فَقِيلَ: سَنَةَ (258هـ) وَقِيلَ: سَنَةَ (260هـ)" (ضِيف، 1984م، 458)، وَمِنْ ثَمَّ يُمْكِنُ تَرْصِينُ تَارِيخِ وَفَاتِهَا فِي ضَوْءِ الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ الْمَصَادِرِ التُّرَاثِيَّةِ وَالْمُؤَرِّخِينَ الْحَدِيثِينَ، وَيُعَدُّ تَقْرِيبُ السَّنَةِ إِلَى (257هـ–260هـ) أَقْرَبَ إِلَى الصِّحَّةِ، مَعَ الإِشَارَةِ إِلَى التَّقَلُّبِ وَالِاخْتِلَافِ فِي الرِّوَايَاتِ.

(2)–القِسمُ التَّحلِيلِيُّ:

نِتَاجُهَا الأَدَبِيُّ وَمَنزِلَتُهَا:

لَمحَةٌ إلى أَدَبِهَا فِي بَلَاطِ الخَلِيفَةِ المتوكِّلِ:

تَكْشِفُ الرِّوَايَاتُ التُّرَاثِيَّةُ عَنْ تَبَايُنٍ فِي تَصْوِيرِ نَشْأَةِ الشَّاعِرَةِ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ وَسَبِيلِ وَصُولِهَا إِلَى بَلَاطِ الْمُتَوَكِّلِ، وَهِيَ تَبَايُنَاتٌ تَتَجَاوَزُ الْجَانِبَ التَّارِيخِيَّ لَتَنْعَكِسَ عَلَى تَمْثِيلِ صُورَتِهَا الْخِطَابِيَّةِ فِي الذَّاكِرَةِ الْأَدَبِيَّةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، فَالرِّوَايَةُ الَّتِي يُورِدُهَا أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ تُقَدِّمُ فَضْلاً فِي إِطَارٍ سَرْدِيٍّ يُعِيدُ إِنْتَاجَ ثُنَائِيَّةِ الْأُنُوثَةِ وَالْمِلْكِيَّةِ؛ إِذْ يَصِفُ انْتِقَالَهَا بَيْنَ أَيْدِي النِّخَّاسِينَ حَتَّى بَلَغَتْ مَجْلِسَ الْخَلِيفَةِ، مَا يَجْعَلُ سِيرَتَهَا الْأُولَى جُزْءًا مِنْ خِطَابِ السُّلْطَةِ الذُّكُورِيَّةِ الَّذِي يُشَيِّئُ الْمَرْأَةَ وَيَحْصُرُ حُضُورَهَا فِي فَضَاءِ الِامْتِلَاكِ، غَيْرَ أَنَّ الرِّوَايَةَ الْأُخْرَى الَّتِي تَذْكُرُ أَنَّهَا أُهْدِيَتْ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ بَعْدَ اكْتِمَالِ تَأْدِيبِهَا وَتَثَقَّفَتِهَا، تُعِيدُ تَشْكِيلَ هَوِيَّتِهَا بِوَصْفِهَا نَتَاجًا لِلثَّقَافَةِ الْقَصَرِيَّةِ وَصُنْعَةِ التَّهْذِيبِ الْأَدَبِيِّ، وَهُوَ مَا يَعْكِسُ تَحَوُّلَهَا مِنْ «مَوْضُوع» لِلِامْتِلَاكِ إِلَى «فَاعِل» فِي الْمَشْهَدِ الشِّعْرِيِّ الرَّسْمِيِّ البَلَاطِي.

فِي ضَوْءِ هَذَا التَّعَدُّدِ فِي التَّمْثِيلِ، يُمْكِنُ قِرَاءَةُ دُخُولِ فَضْلٍ إِلَى الْبَلَاطِ لَا بِوَصْفِهِ حَادِثَةً تَارِيخِيَّةً فَحَسْبُ؛ بَلْ بِوَصْفِهِ نُقْطَةَ انْبِثَاقٍ لِقَصِيدَةِ الْفِكْرَةِ[2] الَّتِي تُؤَسِّسُ لِوَعْيِ الذَّاتِ الْأُنْثَوِيَّةِ دَاخِلَ بُنْيَةِ الْخِطَابِ السُّلْطَوِيِّ، فَقَصِيدَتُهَا الْأُولَى الَّتِي أَنْشَدَتْهَا بَيْنَ يَدَيِ الْمُتَوَكِّلِ (الأصفهاني، 1371هـ–1952م، 19/3–2)، [من البحر السَّريع]:

([1])- قصيدة الفكرة: "هي قصيدة قصيرة مكثفة تحوز فكرة واحدة أو بؤرة دلالية واضحة، تهدف إلى إيصال أثر مباغت عبر إيجاز الصورة واللغة والتركيز على وحدة موضوعية واحدة، وتدرج هذه التسمية عادة ضمن تسميات عدة مثل: الومضة أو القصيدة القصيرة، وتشاركها سمات الإيجاز والكثافة والقدرة الإيحائية" (ينظر: الدريس، 2014، 77).

(2)-جعفر بن قدامة: أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم، وافر الأدب وله مصنَّفات في صنعة الكتابة وغيرها، توفّي عام(319ه) (انظر: الحموي، د/تا، 412/2، ابن النَّديم، 1971م، 188).

اِسْتَقْبَلَ المَلِكُ إمَام الهُدَى عَـامَ ثَـــلَاثٍ وَثَـلَاثِـيـنَّـا
خِلَافَـةً أَفْضَتْ إِلَى جَعْفَرٍ وَهُوَ اِبْنُ سَبْعٍ بَعْدَ عِشْرِيْنَا
إِنّـا لنَـرْجُو يَا إِمَامَ الهُدَى أَنْ تَمْلِكَ المـلك ثَمَانِيْـنَـا
لَا قَدَّسَ اللهُ اِمْرِأً لَمْ يَقُلْ على دُعَـائِـي لَـكَ: آمِيْـنَـا

تَمَثِّلُ الأبيات السابقة نُمُوذَجًا مُكَثَّفًا لِمَا يَسُمّيهِ النَّقْدُ الْحَدَاثِيُّ بـ(قَصِيدَةَ الْفِكْرَةِ)؛ إِذْ تَتَجَاوَزُ حُدُودَ الْمَدِيحِ التَّقْلِيدِيّ إِلَى بِنَاءِ تَمْثِيلٍ فِكْرِيّ لِلسُّلْطَةِ وَالْهُوِيَّةِ، فَهِيَ لَا تَصِفُ الْخَلِيفَةَ فَحَسْبُ؛ بَلْ تُعِيدُ إِنْتَاجَ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الشَّاعِرَةِ وَالسُّلْطَةِ بِوَصْفِهَا عَلَاقَةً رَمْزِيَّةً مُشَحَّوْنَةً بِالدُّعَاءِ وَالطَّاعَةِ وَالرَّجَاءِ؛ حَيْثُ تَتَحَوَّلُ الْعِبَارَةُ الشِّعْرِيَّةُ إِلَى خِطَابٍ مُزْدَوَجٍ يَجْمَعُ بَيْنَ الِامْتِثَالِ وَالْمُقَاوَمَةِ النَّاعِمَةِ، إِنَّ اخْتِزَالَ التَّجْرِبَةِ فِي أَرْبَعَةِ أَبْيَاتٍ مُكَثَّفَةٍ يَعْكِسُ اقْتِصَادَ الْقَوْلِ الَّذِي يُصَاحِبُ قَصِيدَةَ الْفِكْرَةِ؛ حَيْثُ تَتَضَافَرُ الصُّورَةُ وَالْإِيقَاعُ وَالدِّلَالَةُ لِتَوْلِيدِ مَعْنًى يَتَجَاوَزُ الظَّاهِرَ السِّيَاسِيَّ إِلَى تَأَمُّلٍ فِي جَدَلِيَّةِ الْقُوَّةِ وَالِاعْتِرَافِ.

وَمِنْ هَذَا الْمَنْظُورِ، يَغْدُو نَتَاجُ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ شَاهِدًا عَلَى تَحَوُّلِ الْقَصِيدَةِ الأُنثَوِيّةِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيّ مِنَ التَّعْبِيرِ الْوِجْدَانِيّ إِلَى التَّعْبِيرِ الْفِكْرِيّ الرَّمْزِيّ، وَتَغْدُو هَذِهِ الْأَبْيَاتُ الْقَصِيرَةُ نُمُوذَجًا أَوَّلِيّاً لِلْوَعْيِ الْأُنْثَوِيّ الَّذِي يَتَّخِذُ مِنَ اللُّغَةِ وَسِيلَةً لِإِعَادَةِ تَعْرِيفِ مَوْقِعِ الْمَرْأَةِ فِي بُنْيَةِ الْخِطَابِ الْأَدَبِيّ السُّلْطَانِيّ.

اِخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ فِي كَيْفِيَّةِ وَصُولِ فَضْلٍ إِلَى بَلَاطِ الْمُتَوَكِّلِ، فَالرِّوَايَةُ الْأُولَى جَاءَتْ عَلَى لِسَانِ أَبِي الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيّ حَيْثُ قَالَ وَهُوَ يَذْكُرُ تَقَلُّبَ "فَضْل" بَيْنَ أَيْدِي النَّخَّاسِينَ حَتَّى وَصُولِهَا إِلَى الْمُتَوَكِّلِ: "أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمَرْزُبَانَ وَجَعْفَرُ بْنُ قُدَامَةَ[1] قَالَا: جُلِبَتْ "فَضْلُ الشَّاعِرَةِ" مِنَ "الْبَصْرَةِ" فَاشْتَرَاهَا رَجُلٌ مِنَ النَّخَّاسِينَ يُقَالُ لَهُ: حُسْنَوَيْهِ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَبَلَغَ خَبَرُهَا مُحَمَّدَ بْنَ الْفَرَجِ الرَّخْجِيّ، وَأَنَّ الَّذِي ابْتَاعَهَا مُحَمَّدٌ أَخُوهُ، فَأَهْدَاهَا إِلَى الْمُتَوَكِّلِ..."(الأصفهاني، 1404هـ–1984م، 60)، وَالْغَالِبُ أَنَّ "فَضْل" لَمْ تَكُنْ قَدْ أُهْدِيَتْ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ مِنْ قِبَلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَجِ الرَّخْجِيّ إِبَّانَ تَهْنِئَةِ النَّاسِ لِلْمُتَوَكِّلِ بِتَوَلِّيتِهِ الْخِلَافَةَ؛ بَلْ كَانَتْ "فَضْل" مِمَّا سِيقَ إِلَى "الْمُتَوَكِّلِ" مِنْ غَنَائِمِ بَنِي الرَّخَجِيّ "فَقَدْ حَلَّتْ عَلَيْهِمْ "تَكْبَةُ الْمُتَوَكِّلِ "وَاخْتَلَطَ حَالُهُمْ" الأصفهاني، 1371هـ–1952م، 19/136–137)، وَتَقُولُ الرِّوَايَةُ الثَّانِيَةُ إِنَّهَا أُهْدِيَتْ لِلْمُتَوَكِّلِ بَعْدَمَا شَبَّتْ عَنْ طَوْقِ تَثْقِيفِهَا أَوِ انْتَهَى خُبَرَاءُ "مَصَانِعِ النِّخَاسَةِ" مِنْ تَأْدِيبِهَا وَتَخْرِيجِهَا حَتَّى أُهْدِيَتْ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ فِي أَوَّلِ أَيَّامِ تَوَلِّيهِ الْخِلَافَةَ (تَوَلَّاهَا يَوْمَ 23 مِنْ ذِي الْحِجَّةِ عَامَ 232 هـ)، وَتَتَّفِقُ الْمَصَادِرُ التَّارِيخِيَّةُ وَالْأَدَبِيَّةُ أَنَّ فَضْلاً يَوْمَ أُهْدِيَتْ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ إِبَّانَ تَهْنِئَةِ الْجُمْهُورِ بِتَوَلِّيتِهِ الْخِلَافَةَ قَالَ لَهَا الْمُتَوَكِّلُ: أَشَاعِرَةٌ أَنْتِ؟! فَقَالَتْ: كَذَا زَعَمَ مَنْ بَاعَنِي وَاشْتَرَانِي، فَضَحِكَ، وَقَالَ: أَنْشِدِينَا شَيْئاً مِنْ شِعْرِكِ، فَأَنْشَدَتْهُ (الأصفهاني، 1371هـ–1952م، 19/3–2)، [مِنَ الْبَحْرِ السَّرِيعِ]:

اِسْتَقْبَلَ المَلِكُ إمَام الهُدَى عَـامَ ثَـــلَاثٍ وَثَـلَاثِـيـنَّـا
خِلَافَـةً أَفْضَتْ إِلَى جَعْفَرٍ وَهُوَ اِبْنُ سَبْعٍ بَعْدَ عِشْرِيْنَا
إِنّـا لنَـرْجُو يَا إِمَامَ الهُدَى أَنْ تَمْلِكَ المـلك ثَمَانِيْـنَـا
لَا قَدَّسَ اللهُ اِمْرِأً لَمْ يَقُلْ على دُعَـائِـي لَـكَ: آمِيْـنَـا

لَقَدْ أَجْبَرَتْ –"تِلْكَ الشَّاعِرَةِ الحَدِيْثَةُ العَهْدِ"– أَنْ تَجْعَلَ جَمِيْعِ مَنْ فِي مَجْلِسِ المُتَوَكِّلِ؛ بَلِ وَالمُتَوَكِّلِ نَفْسَهُ أَنْ يُرَدِّدَ مَعْهَا: (آمِيْن)، وَكَأَنَّهَا بِهَذِهِ الأَبْيَات ذَاتِ القَافِيَةِ الرَّقَمِيَّة –إِنْ صَحَّ التَعْبِيْر– تُؤَرِّخ تَوْلِيَة المُتَوَكِّل، وَعُمْرُهُ آنَذَاك، وَأَمَانِيْهَا أَنْ يَحْكُمَ الأُمَّةَ نِيْفًا وَنِصْفُ قَرْنٍ، كَمَا أَنَّهُ وَكَأَنَّهَا تُؤَرِّخُ لِعُمْرِهَا هِيَ، فَلَو أَسْقَطَ –عَلَى أَقْصَى تَقْدِيْرٍ– عِشْرِيْنَ عَامًا مِنْ ذَلِكَ التَّارِيْخ؛ أَي الفَتْرَة الَّتِي تَمْتَدُّ مِنْ مَوْلِدِهَا حَتَّى تَأَدَّبَتْ وَتَخَرَّجَتْ لَكَانَ مَوْلِدِهَا عَام (213هـ) أَوْ فِي مُحِيْطِ تِلْكَ المُدَّة.

([1])- عريب البرمكيَّة: مغنية وشاعرة وعازفة عود في العصر العبَّاسيّ، سليلة آل برمك، فهي ابنة جعفر بن يحيى البرمكي الَّذي لم يعترف بها بسبب رفض والده يحيى لزيجة ابنه من أمّها الَّتي ولدتها (فاطمة) فهي مجهولة النسب، ولدت عريب في عام (191ه)، وعاشت قرابة قرنٍ من الزَّمن تنقَّلت فيه بين قصور خلفاء بني العبَّاس، غنَّتهم وأضاءت لياليهم، وكانت مفضّلة الخليفة المأمون، ماتت في عام (277ه) وقد ذكرها الأصفهاني في كتابيه الأغاني والإماء (انظر: الأصفهاني، 1371ه-1952م، 20/90)، و(الأصفهاني، 1404ه-1984م، 143-144).

تَحلِيلُ أَدَبِهَا فِي بَلَاطِ الْمُتَوَكِّلِ: بَيْنَ التَّمْثِيلِ الشِّعْرِيِّ وَالسُّلْطَةِ الرَّمْزِيَّةِ:

يَطُولَ الْحَدِيثُ عَلَى الْمَذْهَبِ الرَّمْزِيِّ، وَيَكْفِي أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ هُنَاكَ الْعَدِيدَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْأَكَادِيمِيَّةِ الْبَارِزَةِ فِي الرَّمْزِ، لِذَلِكَ سَتتناول هَذِهِ الْفِقْرَةُ الطَّابَعَ الرَّمْزِيَّ فِي شِعْرِهَا، وَنُحِيلُ الْقَارِئَ الْكَرِيمَ إِلَى مُرَاجَعَةِ أَعْمَالٍ فِي الرَّمْزِ (يُنظَرُ: الْعَلِيُّ، 2023م، 221–242)؛ إِذ تَكْشِفُ الْوَقَائِعُ التَّارِيخِيَّةُ الَّتِي أَوْرَدَهَا أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ عَنْ دُخُولِ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ إِلَى الْبَلَاطِ الْعَبَّاسِيِّ فِي السِّنِينَ الْأُولَى مِنْ خِلَافَةِ الْمُتَوَكِّلِ، عَنْ مَشْهَدٍ مُرَكَّبٍ يَجْمَعُ بَيْنَ السُّلْطَةِ وَالْجَمَالِ وَالْقَوْلِ الشِّعْرِيِّ، فَهَذِهِ الشَّاعِرَةُ حَدِيثَةُ الْعَهْدِ بِالْبَلَاطِ، اسْتَطَاعَتْ مُنْذُ حُضُورِهَا الْأَوَّلِ أَنْ تُؤَسِّسَ لِخِطَابٍ شِعْرِيٍّ يُفْرِضُ حُضُورَهُ دَاخِلَ الْمَجْلِسِ السُّلْطَانِيِّ، حَتَّى إِنَّ الْخَلِيفَةَ نَفْسَهُ شَارَكَهَا التَّرْدِيدَ فِي دُعَائِهَا: «آمِينَ»، وَهُوَ مَوْقِفٌ رَمْزِيٌّ بَالِغُ الدِّلَالَةِ؛ إِذْ تَتَحَوَّلُ فِيهِ الْمُتَلَقِّيَةُ الْمُفْتَرَضَةُ (الْمَرْأَةُ الْجَارِيَةُ) إِلَى مُنْتَجَةٍ لِلْخِطَابِ، بَيْنَمَا يَغْدُو الْخَلِيفَةُ رَمْزُ السُّلْطَةِ، جُزْءًا مِنَ النَّصِّ لَا مُتَعَالِيًا عَلَيْهِ، وَيَحْكِي الْأَصْفَهَانِيُّ بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ عَنْ فَضْلٍ فَيَقُولُ: "حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْمُنَجِّمِ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ جَدِّي قَالَ: قَالَ لِي الْمُتَوَكِّلُ يَوْماً وَفَضْلٌ وَاقِفَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ: يَا عَلِيُّ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ فَضْلٍ مَوْعِدٌ، فَشَرِبْتُ شَرْبًا فِيهِ فَضْلٌ، فَسَكِرْتُ وَنِمْتُ، وَجَاءَتْنِي لِلْمَوْعِدِ، فَحَرَّكَتْنِي بِكُلِّ مَا يُنَبَّهُ بِهِ النَّائِمُ مِنْ قَرْصٍ وَتَحْرِيكٍ وَغَمْزٍ وَكَلَامٍ، فَلَمْ أَنْتَبِهْ. فَلَمَّا عَلِمَتْ أَنَّهُ لَا حِيلَةَ لَهَا فِيَّ، كَتَبَتْ رُقْعَةً وَوَضَعَتْهَا عَلَى مِخَدَّتِي، فَانْتَبَهْتُ، فَقَرَأْتُهَا، فَإِذَا فِيهَا(الأصفهاني، 1371هـ–1984م، 66)، [مِنْ مَجْزُوءِ الرَّمَلِ]:

قَدْ بَدَا شَبْهُكَ يَا مَوْ لَايَ يَحْدُو بِالظَّلَامِ

قُمْ بِنَا نُقْضِ لِبَانَا تِ الـتَّـثَـامِ وَالْـتِـزَامِ

قَبْلَ أَنْ تَفْضَحَنَا عَوْ دَةُ أَرْوَاحِ النِّـيَـامِ

وَفِيمَا يَأْتِي تَحْلِيلٌ رَمْزِيٌّ مُتَعَمِّقٌ:

الشَّبَهُ يَحْدُو بِالظَّلَامِ:

تَصْوِيرُ الْحُبِّ كَظِلٍّ وَاهِنٍ فِي الظَّلَامِ يُوحِي بِالْخَفَاءِ وَالْهَشَاشَةِ؛ حَيْثُ يَكْتَسِبُ الْوُجُودَ مِنْ غِيَابِ الْأَنْوَارِ.

الْحَدْوُ (الْقِيَادُ) يُضْفِي حَرَكَةً اسْتِدْعَائِيَّةً، كَأَنَّ الْعَاشِقَ مَسْطُورٌ فِي اتِّبَاعِ خَيَالِ الْمَحْبُوبِ.

نَقْضُ لِبَانَاتِ التَّثَامِ:

اللَّبَانَاتُ (الْعُقُودُ) تَمَثِّلُ الْعُهُودَ وَالْقُيُودَ الْمَعْنَوِيَّةَ.

النَّقْضُ (الْحَلُّ) يُجَسِّدُ تَحْرِيرَ الْقَلْبِ مِنْ عُقَدِ الْكَظْمِ وَالْكَتْمِ.

التَّثَامُ (الِاكْتِفَاءُ) وَالِالْتِزَامُ (الِانْضِبَاطُ) يَرْمِزَانِ إِلَى الْقُيُودِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تَحُولُ دُونَ التَّعْبِيرِ.

عَوْدَةُ أَرْوَاحِ النِّيَامِ:

الْأَرْوَاحُ (الْأَشْبَاحُ) تَمْثُلُ حَقِيقَةَ الْوُجُودِ الْخَفِيَّةَ.

النِّيَامُ (الْأَحْيَاءُ النَّائِمُونَ) يَرْمُزُونَ إِلَى الْعَالَمِ الْوَاعِي الْغَافِلِ.

الْفَضِيحَةُ (الْإِفْشَاءُ) تَكْشِفُ الْهَوَى الْخَفِيَّ أَمَامَ أَنْظَارِ الْجَمَاعَةِ.

دَلَالَاتُ النَّصِّ:

- الْقَصِيدَةُ تَسْتَحْضِرُ صِرَاعَ الْعَاشِقِ بَيْنَ الْوِجْدَانِ الْخَفِيِّ وَالْوَاقِعِ الْمُلْزِمِ.
- تَجْسِيدُ الْخَوْفِ مِنَ انْكِشَافِ الْهَوَى فِي مُجْتَمَعٍ يَرْفُضُ الْإِفْصَاحَ.
- الْإِيقَاعُ النَّاعِمُ يُضَاعِفُ وَقْعَ الْهَمْسِ الْخَائِفِ، مُحَوِّلاً الْقَصِيدَةَ إِلَى مُنَاجَاةٍ سِرِّيَّةٍ.

إِنَّ الْأَبْيَاتَ الَّتِي أَنْشَدَتْهَا فَضْلُ العَبدِيَّة فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ تعد مِثَالاً عَلَى مَا يُمْكِنُ تَسْمِيَتُهُ – بِمُصْطَلَحِ النَّقْدِ الْحَدَاثِيِّ – «قَصِيدَةَ الْفِكْرَةِ»، فَهِيَ تُمَثِّلُ هُنَا نَصًا مُكَثَّفًا يَتَجَاوَزُ الْغَرَضَ الْمُنَاسَبَاتِيَّ إِلَى تَأَمُّلٍ فِي عِلَاقَةِ الشَّاعِرَةِ بِالسُّلْطَةِ وَالزَّمَنِ، إِنَّ اسْتِخْدَامَ الْقَافِيَةِ الرَّقَمِيَّةِ الْمُتَتَابِعَةِ (ثَلَاثِينَ، عِشْرِينَ، ثَمَانِينَ...) لَيْسَ مَجَرَّدَ تَلَاعُبٍ إِيقَاعِيٍّ؛ بَلْ هُوَ بِنَاءٌ دِلَالِيٌّ يُوَظِّفُ الْأَرْقَامَ لِتَأْرِيخِ تَوْلِيَةِ الْخَلِيفَةِ وَرَسْمِ أُفُقٍ زَمَنِيٍّ لِحُكْمِهِ، فِي مُقَابِلِ تَأْطِيرٍ زَمَنِيٍّ غَيْرِ مُصَرَّحٍ بِهِ لِعُمْرِهَا هِيَ؛ وَهَكَذَا يَتَقَاطَعُ الزَّمَنِيُّ الذُّكُورِيُّ

(سُلْطَةُ الْحُكْمِ) مَعَ الزَّمَنِيِّ الْأُنْثَوِيِّ (تَارِيخِ الْوُجُودِ وَالتَّعْبِيرِ)، فِي وَحْدَةٍ رَمْزِيَّةٍ تَجْعَلُ الْقَصِيدَةَ تَمْثِيلاً شِعْرِيّاً لِلْجَدَلِيَّةِ بَيْنَ الْهَيْمَنَةِ وَالِاعْتِرَافِ.

وَحِينَ انْتَقَلَتْ فَضْلُ العَبدِيَّة إِلَى مَجْلِسِ الْمُتَوَكِّلِ وَاسْتَقَرَّتْ فِيهِ جَارِيَةً وَشَاعِرَةً، تَشَكَّلَ حُضُورُهَا بِوَصْفِهِ جَسَداً لُغَوِيّاً دَاخِلَ خِطَابٍ سُلْطَوِيٍّ مُغْلَقٍ، اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَفْتَحَهُ عَلَى إِمْكَانَاتِ الْقَوْلِ الْأُنْثَوِيِّ، إِنَّ الْحِكَايَةَ الَّتِي يَرْوِيهَا الْأَصْفَهَانِيُّ عَنْ رُقْعَتِهَا الشِّعْرِيَّةِ الَّتِي كَتَبَتْهَا فِي غِيَابِ الْمُتَوَكِّلِ تُمَثِّلُ تَحَوُّلاً دَقِيقاً فِي مَوْقِعِهَا الْخِطَابِيِّ: فَهِيَ لَمْ تَعُدْ صَوْتاً تَابِعاً يَتَغَنَّى بِالْمَمْدُوحِ؛ بَلْ ذَاتًا فَاعِلَةً تَنْتُجُ الْمَعْنَى فِي غِيَابِهِ، مُسْتَخْدِمَةً اللُّغَةَ وَسِيلَةً لِإِثْبَاتِ الْحُضُورِ وَالسَّيْطَرَةِ الرَّمْزِيَّةِ فِي فَضَاءٍ يَهِيْمَنُ عَلَيْهِ الذُّكُورُ، بِهَذَا الْمَعْنَى يُمْكِنُ الْقَوْلُ: إِنَّ فَضْلَ الْعَبْدِيَّةِ أَسَّسَتْ مِنْ دَاخِلِ الْقَصْرِ لِخِطَابٍ شِعْرِيٍّ نِسْوِيٍّ مُبَكِّرٍ يَقُومُ عَلَى الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ الِامْتِثَالِ الظَّاهِرِيِّ وَالتَّمَرُّدِ الرَّمْزِيِّ، فَقَصَائِدُهَا الْقَصِيرَةُ الْمُكَثَّفَةُ تُمَثِّلُ تَجْسِيدًا لِقَصِيدَةِ الْفِكْرَةِ الَّتِي تُعَبِّرُ عَنْ وَعْيٍ أُنْثَوِيٍّ دَاخِلَ الْبُنْيَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، لَقَدْ حَوَّلَتِ الشَّاعِرَةُ تَجْرِبَتَهَا الْخَاصَّةَ فِي الْقَصْرِ إِلَى نَصٍّ ثَقَافِيٍّ يُفْضَحُ التَّنَاقُضَ بَيْنَ أُنُوثَةِ الْجَسَدِ وَسُلْطَةِ الْقَوْلِ، وَهُوَ مَا يَمْنَحُ شِعْرَهَا بُعْدًا جَمَالِيّاً وَثَقَافِيّاً يَتَجَاوَزُ حُدُودَ الْمَدْحِ وَالْغَزَلِ إِلَى مُسْتَوَى التَّأَمُّلِ فِي مَاهِيَّةِ السُّلْطَةِ وَالْهُوِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ.

تَحليلُ دَورِهَا فِي الدَّرْسِ الأَدَبِيِّ قَدِيماً وَحَدِيثاً:

يُظْهِرُ تَتَبُّعُ حُضُورِ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ فِي الْمُدَوَّنَةِ الْأَدَبِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ تَلَقِّيَ تَجْرِبَتِهَا الشِّعْرِيَّةِ خَضَعَ لِتَحَوُّلَاتٍ تَعْكِسُ تَطَوُّرَ الْوَعْيِ النَّقْدِيِّ الْعَرَبِيِّ ذَاتِهِ، فَفِي الْمَصَادِرِ الْقَدِيمَةِ مِثْلَ «طَبَقَاتِ الشُّعَرَاءِ» لِابْنِ الْمُعْتَزِّ وَ «الْأَغَانِي» وَ «الْإِمَاءِ الشَّوَاعِرِ» لِأَبِي الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيِّ، تَتَجَلَّى صُورَةُ فَضْلٍ فِي إِطَارِ السَّرْدِ التَّوْثِيقِيِّ الَّذِي يَمْزِجُ بَيْنَ الْخَبَرِ الْأَدَبِيِّ وَالْمَرْوِيِّ التَّارِيخِيِّ، يُقَدِّمُهَا الْأَصْفَهَانِيُّ تَحْدِيدًا بِوَصْفِهَا عَلَامَةً جَمَالِيَّةً دَاخِلَ فَضَاءِ السُّلْطَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ؛ إِذْ يَجْمَعُ فِي أَخْبَارِهَا بَيْنَ الشِّعْرِ وَالْغِنَاءِ، فَيَكْشِفُ عَنِ الِازْدِوَاجِ الَّذِي شَكَّلَ حُضُورَ الْمَرْأَةِ الشَّاعِرَةِ، فَهِيَ مَوْضُوعٌ لِلْمَتْعَةِ الْجَمَالِيَّةِ بِقَدْرِ مَا هِيَ ذَاتٌ مُبْدِعَةٌ تُنْتِجُ الْقَوْلَ، وَقَدْ أَسْهَمَتْ كُتُبٌ أُخْرَى مِثْلَ «نِسَاءِ الْخُلَفَاءِ» لِابْنِ السَّاعِي الْبَغْدَادِيِّ وَ «الْمُنْتَظَمِ» لِابْنِ الْجَوْزِيِّ، فِي تَثْبِيتِ هَذَا التَّمْثِيلِ؛ إِذْ رَكَّزَتْ عَلَى الْبُعْدِ الِاجْتِمَاعِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ فِي سِيرَتِهَا، فَظَهَرَتِ الشَّاعِرَةُ ضِمْنَ بُنْيَةِ خِطَابٍ يَرْصُدُ النِّسَاءَ مِنْ مَنْظُورِ الْبَلَاطِ لَا مِنْ مَنْظُورِ الْإِبْدَاعِ، وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ إِنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ التَّنَاوُلِ يُعَبِّرُ عَنْ مَا يُعْرَفُ فِي النَّقْدِ الثَّقَافِيِّ الْمُعَاصِرِ بِـ «قصيدة الفكرة»، حَيْثُ يُحْتَفَى بِالْمَرْأَةِ الْمُبْدِعَةِ بِوَصْفِهَا ظَاهِرَةً اسْتِثْنَائِيَّةً أَكْثَرَ مِنْ كَوْنِهَا فَاعِلاً ثَقَافِيّاً يَمْتَلِكُ أَدَوَاتِهِ الْخَاصَّةَ.

أَمَّا فِي الدَّرْسِ الْحَدِيثِ، فَقَدْ تَنَاوَلَهَا شَوْقِي ضَيْفٍ فِي كِتَابِهِ «الْعَصْرُ الْعَبَّاسِيُّ الثَّانِي» ضِمْنَ سِيَاقِ تَطَوُّرِ الشِّعْرِ الْعَبَّاسِيِّ، مُؤَكِّداً مَوْهِبَتَهَا الْفَنِّيَّةَ وَمَنزلتها فِي مَجَالِسِ الْمُتَوَكِّلِ، إِلَّا أَنَّ قِرَاءَتَهُ – عَلَى أَهَمِّيَّتِهَا التَّارِيخِيَّةِ – بَقِيَتْ ضِمْنَ إِطَارِ التَّصْنِيفِ الزَّمَنِيِّ دُونَ اسْتِثْمَارِ الْمَنَاهِجِ النَّقْدِيَّةِ الْحَدِيثَةِ فِي تَحْلِيلِ تَجْرِبَتِهَا النَّصِّيَّةِ، وَقَدْ تَبِعَ ذَلِكَ دِرَاسَاتٌ مُعَاصِرَةٌ مِثْلَ دِرَاسَةِ قُرْشِيِّ عَبَّاسِ دَنْدَرَاوِيَ (فَضْلُ الْعَبْدِيَّةِ: حَيَاتُهَا وَشِعْرُهَا) وَمَحْمُودِ رِزْقِ حَامِدٍ (شِعْرُ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ: جَمْعٌ وَدَرْسٌ)، اللَّتَيْنِ انْصَبَّتَا عَلَى الْجَمْعِ وَالتَّوْثِيقِ دُونَ تَعْمِيقِ النَّظَرِ فِي أَبْعَادِ النَّصِّ الْأَدَبِيِّ مِنْ حَيْثُ الْهُوِيَّةُ الشِّعْرِيَّةُ وَالتَّمْثِيلُ الثَّقَافِيُّ لِلْأُنُوثَةِ.

مِنْ هَذَا الْمَنْظُورِ يَسْعَى الْبَحْثُ الْحَالِيُّ إِلَى تَجَاوُزِ هَذَا الْإِرْثِ التَّوْثِيقِيِّ نَحْوَ قِرَاءَةٍ جَدِيدَةٍ تَعْتَمِدُ عَلَى أَدَوَاتِ النَّقْدِ الْحَدَاثِيِّ، عَبْرَ تَحْلِيلِ شِعْرِ فَضْلٍ بِوَصْفِهِ خِطَاباً ثَقَافِيّاً يُعَبِّرُ عَنِ الذَّاتِ الْأُنْثَوِيَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ السُّلْطَةِ الرَّمْزِيَّةِ، وَاسْتِكْشَافِ طَبِيعَتِهِ بِوَصْفِهِ نُمُوذَجًا مُبَكِّرًا لِمَا يُمْكِنُ تَسْمِيَتُهُ بالأسلوب الشعري الأنثوي فِي التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، وَبِذَلِكَ يَضَعُ هَذَا الْبَحْثُ فَضْلَ الْعَبْدِيَّةِ فِي مَوْقِعِهَا الْحَقِيقِيِّ دَاخِلَ الْمَشْهَدِ الْأَدَبِيِّ الْعَبَّاسِيِّ، لَا كَظَاهِرَةٍ هَامِشِيَّةٍ؛ بَلْ كَصَوْتٍ شِعْرِيٍّ مُؤَسِّسٍ يُسْهِمُ فِي إِعَادَةِ تَشْكِيلِ مَفْهُومِ الْإِبْدَاعِ الأُنثَوِيِّ فِي الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ.

تَحليلُ مَنْزِلَتِهَا الأَدَبِيَّةِ وَالشِّعْرِيَّةِ:

تُجْمِعُ الْمَصَادِرُ الْقَدِيمَةُ عَلَى أَنَّ فَضْلَ الْعَبْدِيَّةَ تَمَتَّعَتْ بِمَنزلة رَفِيعَةٍ فِي الْمَشْهَدِ الْأَدَبِيِّ الْعَبَّاسِيِّ، وَقَدْ أَحَاطَهَا النُّقَّادُ وَالرُّوَاةُ بِفَيْضٍ مِنَ الْإِعْجَابِ، فَوُصِفَتْ بِأَنَّهَا أَدِيبَةٌ فَصِيحَةٌ، سَرِيعَةُ الْبَدِيهَةِ، رَقِيقَةُ الشِّعْرِ، وَأَنَّهَا أَشْعَرُ نِسَاءِ زَمَانِهَا، غَيْرَ أَنَّ هَذَا الثَّنَاءَ – عَلَى كَثَافَتِهِ – يَكْشِفُ عَنْ طَبِيعَةِ التَّلَقِّي الْأَدَبِيِّ لِلْمَرْأَةِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ؛ إِذْ غَالِباً مَا كَانَ إِعْجَاباً مُمَوَّهاً بِبُنْيَةِ

الْجَمَالِ أَكْثَرَ مِنْ كَوْنِهِ قِرَاءَةً وَاعِيَةً لِبُنْيَةِ النَّصِّ، وَهُوَ مَا يَجْعَلُنَا أَمَامَ تَمْثِيلٍ مُزْدَوَجٍ لِلشَّاعِرَةِ بِوَصْفِهَا مَوْضُوعاً جَمَالِيّاً وَفَاعِلاً إِبْدَاعِيّاً فِي آنٍ وَاحِدٍ.

لَمْ تَكُنْ فَضْلٌ، بِخِلَافِ بَعْضِ مُعَاصِرَاتِهَا مِنَ الْجَوَارِي الشَّوَاعِر كـ «عَرِيبِ الْبَرْمَكِيَّةِ[1]» وَ «مَحْبُوبَةِ[2]» وَ «خَنْسَاءَ[3]»، تَمْتَهِنُ الْغِنَاءَ أَوِ الضَّرْبَ عَلَى الْعُودِ؛ بَلِ اخْتَارَتْ أَنْ تَتَمَرْكَزَ حَوْلَ فِعْلِ الْقَوْلِ الشِّعْرِيِّ ذَاتِهِ، وَبِهَذَا الِاخْتِيَارِ انْفَصَلَتْ عَنِ النَّمَطِ الْفَنِيِّ الْقَائِمِ عَلَى الْأَدَاءِ الْجَسَدِيِّ نَحْوَ تَجْرِبَةٍ فِكْرِيَّةٍ لُغَوِيَّةٍ جَعَلَتْ مِنَ الْكَلِمَةِ فَضَاءَهَا الرَّئِيسَ، وَهُوَ مَا يُمْكِنُ قِرَاءَتُهُ – وَفْقَ مَنْظُورِ النَّقْدِ الأُنثَوِيِّ الْحَدَاثِيِّ – بِوَصْفِهِ تَحَوُّلاً مِنَ الْجَسَدِ الْمُغَنِّي إِلَى الْعَقْلِ الشَّاعِرِ؛ أَيْ مِنَ الْأُنْثَى الْمُمَثَّلَةِ إِلَى الْأُنْثَى الْمُفَكِّرَةِ.

وَتُشِيرُ الْمَصَادِرُ إِلَى أَنَّ فَضْلاً كَانَتْ تَحْظَى بِمَنزِلَة بَارِزَةٍ فِي مَجْلِسِ الْمُتَوَكِّلِ؛ إِذْ أُتِيحَ لَهَا الْجُلُوسُ عَلَى كُرْسِيٍّ مُوَاجَهَةَ الشُّعَرَاءِ وَمُجَارَاتُهُمْ فِي الْقَوْلِ، وَهُوَ مَشْهَدٌ يَشِي بِكَسْرٍ رَمْزِيٍّ لِلتَّرَاتُبِيَّةِ الذُّكُورِيَّةِ فِي فَضَاءِ الْقَوْلِ الشِّعْرِيِّ؛ حَيْثُ تَتَحَوَّلُ الْجَارِيَةُ فِي مَعْنَاهَا الِاجْتِمَاعِيِّ إِلَى ذَاتٍ لُغَوِيَّةٍ نِدِّيَّةٍ تَتَبَادَلُ الْخِطَابَ مَعَ السُّلْطَةِ وَتُوَاجِهُ الحُضُوْر الذُّكُوْرِي بِقُوَّةٍ؛ إذ يرسخ هَذَا الْحُضُورُ صُورَتَهَا نُمُوذَجاً مُبَكِّراً لِمَا يُعْرَفُ فِي النَّقْدِ الثَّقَافِيِّ بِالإفصاح عن شخصية المخاطب، الَّتِي تَفْرِضُ وُجُودَهَا لَا عَبْرَ السَّطْوَةِ الْمَادِّيَّةِ؛ بَلْ عَبْرَ سُلْطَةِ اللُّغَةِ وَالْإِبْدَاعِ.

غَيْرَ أَنَّ الْمُفَارَقَةَ الْجَمَالِيَّةَ وَالْفِكْرِيَّةَ تَكْمُنُ فِي أَنَّ دِيوَانَ فَضْلٍ الْمَزْعُومَ قَدْ ضَاعَ، وَلَمْ يَصِلْنَا مِنْ شِعْرِهَا سَوَى نُتَفٍ وَمُقَطَّعَاتٍ قَصِيرَةٍ لَا تَتَجَاوَزُ فِي الْغَالِبِ بَيْتَيْنِ أَوْ أَرْبَعَةَ أَبْيَاتٍ، وَهَذِهِ النَّذْرَةُ النَّصِّيَّةُ وَإِنْ عُدَّتْ خَسَارَةً مَادِّيَّةً، فَإِنَّهَا مِنْ مَنْظُورِ نَقْدِ الْحَدَاثَةِ عَلَامَةٌ دِلَالِيَّةٌ عَلَى تَهْمِيشِ الصَّوْتِ الأُنثَوِيِّ فِي الذَّاكِرَةِ الثَّقَافِيَّةِ، فَغِيَابُ النَّصِّ الْكَامِلِ لَا يُقْرَأُ بِوَصْفِهِ فَقْداً فِيزِيَائِيّاً فَحَسْبُ؛ بَلْ بِوَصْفِهِ أَثَراً ثَقَافِيّاً لِتَارِيخِ الْإِقْصَاءِ الَّذِي طَمَسَ حُضُورَ الْمَرْأَةِ الْمُبْدِعَةِ فِي سِجِلِّ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ.

إِنَّ مَا وَصَلَ مِنْ شِعْرِ فَضْلٍ – عَلَى قِلَّتِهِ – يُمَثِّلُ جَوْهَرَ قَصِيدَةِ الْفِكْرَةِ فِي تَجَلِّيهَا الْمُبَكِّرِ، فَكُلُّ مُقَطَّعَةٍ مِنْهَا تَقُومُ عَلَى تَكْثِيفِ الدِّلَالَةِ وَإِيجَازِ التَّجْرِبَةِ، وَتَخْتَزِلُ الْمَوْقِفَ الشِّعْرِيَّ فِي وَمْضَةٍ فِكْرِيَّةٍ مُشَحَّوْنَةٍ بِالْعَاطِفَةِ وَالرَّمْزِ، وَهَذَا الشَّكْلُ مِنَ اقْتِصَادِ الْقَوْلِ لَا يَدُلُّ عَلَى نَقْصٍ فِي الْقُدرَةِ؛ بَلْ عَلَى وَعْيٍ فَنِيٍّ رَاقٍ بِالتَّوَازُنِ بَيْنَ الْإِيجَازِ وَالدِّلَالَةِ، وَهُوَ مَا يَمْنَحُ شِعرَهَا بُعْداً حَدَاثِيّاً يَسبِقُ زَمَانَهُ.

وَعَلَيْهِ، فَإِنَّ مَنْزِلَةَ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ لَا تَنْبُعُ مِنْ حَجْمِ مَا وَصَلَ مِنْ شِعْرِهَا؛ بَلْ مِنَ الْقِيمَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْجَمَالِيَّةِ لِخِطَابِهَا الشِّعْرِيِّ الَّذِي مَثَّلَ انْتِقَالاً نَوْعِيّاً فِي تَمْثِيلِ الْمَرْأَةِ دَاخِلَ الثَّقَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَدَاخِل مُجْتَمَع البَلَاطِ السِّيَاسِي، ومِنَ الصَّوْتِ الْمُسْتَدِرِّ لِلْعَاطِفَةِ إِلَى الصَّوْتِ الْمُنْتِجِ لِلْفِكْرَةِ، وَمِنَ الْقَصِيدَةِ الْمُنَاسَبَةِ إِلَى الْقَصِيدَةِ الرُّؤْيَةِ (ابن المعتز، د/تا، 424).

تَحلِيلُ الأَغرَاضِ الشِّعرِيَّةِ فِي أَدَبِهَا:

تَكْشِفُ الْمُقَطَّعَاتُ الشِّعرِيَّةُ الْقَلِيلَةُ الَّتِي وَصَلَتْنَا مِنْ شِعرِ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ عَنْ ثَرَاءٍ دِلَالِيٍّ يَتَجَاوَزُ حُدُودَ التَّنَاثُرِ النَّصِّيِّ إِلَى بِنَاءِ خِطَابٍ شِعرِيٍّ مُتَكَامِلِ الْمَلَامِحِ، يَعْكِسُ تَفَاعُلَ الذَّاتِ الشَّاعِرَةِ مَعَ وَاقِعِهَا الثَّقَافِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ وَالِاجْتِمَاعِيِّ، وَعلى الرُّغْمَ من ضَيَاعِ دِيوَانِهَا الْمَزْعُومِ، فَإِنَّ مَا بَقِيَ مِنْ شِعرِهَا يُمْكِنُ قِرَاءَتُهُ بِمَنْهَجِ النَّقْدِ الْحَدِيثِ بِوَصْفِهِ وَثَائِقَ فَنِّيَّةٍ تُمَثِّلُ الْوَعْيَ الشِّعرِيَّ الأُنثَوِيَّ فِي بِيئَةِ الْبَلَاطِ الْعَبَّاسِيِّ، وَتُعَبِّرُ عَنْ تَجْرِبَةِ الْمَرْأَةِ فِي قَلْبِ السُّلْطَةِ وَضِمْنَ شُرُوطِهَا الْخِطَابِيَّةِ.

([1])- محبوبة: كانت مولدة وشاعرة، مغنية متقدمة في الحالتين على طبقتها، حسنة الوجه والغناء، أهداها عبد الله بن طاهر للمتوكّل لمّا ولّي الخلافة في جملة أربع مائة جارية قيان وسذج فتقدّمتهن عنده، فلمّا قتل صارت إلى وصيف، فلزمت السلب وفاءً للمتوكّل، حتّى أراد وصيف قتلها، فاستوهبها منه بغا، فأعطاه إيّاها فأعتقها، وقال لها: أقيمي حيث شئت، فانحدرت من سرّ من رأى إلى بغداد، وأخملت نفسها حتّى ماتت. (الأصفهاني، 1404ه-1984م، 157).

([2])- خنساء: كانت لرجل من آل يحيى بن خالد بن برمك، شاعرة ومغنية تدخل إليها الشعراء يقارضونها الشعر فتأتي بكل مستحسن من الجواب، (الأصفهاني، 1404ه-1984م، 213).

([3]) -مصطلح نقدي حديث تحدَّث عنه عبد الله الغذامي في كتابه (تأنيث القصيدة والقارئ المختلف)، قصد فيه الغذامي الأوزان والبحور التي تعتمدها الشواعر في نظم الشعر وذكر على وجه الخصوص الشاعرة نازك الملائكة في نظمها لقصيدة (الكوليرا) حيث قال: "أقصد نازك الملائكة الأنثى التي حطّمت أهم رموز الفحولة وأبرز علامات الذكورة وهو عمود الشعر"، (الغذامي، 2005، 12).

لَقَدْ تَعَدَّدَتِ الْأَغْرَاضُ الشِّعرِيَّةُ فِي أَدَبِ فَضْلٍ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا تُفْهَمُ بِمَعنَاهَا التَّقْلِيدِيِّ الَّذِي يَرْبِطُ الْغَرَضَ بِالْمَضْمُونِ؛ بَلْ بِمَعْنَاهَا الْحَدَاثِيِّ الَّذِي يَرَى فِي الْغَرَضِ أُفُقاً دِلَالِيّاً يُعَبِّرُ عَنْ مَوْقِعِ الذَّاتِ مِنَ الْعَالَمِ، فَمَدِيحُهَا لِلْمُتَوَكِّلِ مِثْلاً لَا يُمْكِنُ قِرَاءَتُهُ مُجَرَّدَ امْتِثَالٍ لِغَرَضٍ سِيَاسِيٍّ مَأْلُوفٍ؛ بَلْ هُوَ إِنْتَاجٌ رَمْزِيٌّ لِلْعَلَاقَةِ بَيْنَ الشَّاعِرَةِ وَالسُّلْطَةِ؛ إِذْ تَحَوَّلَ الْخِطَابُ الْمَدْحِيُّ إِلَى قَصِيدَةِ فِكْرَةٍ تَنْطَوِي عَلَى رُؤْيَةٍ أُنْثَوِيَّةٍ لِمَفْهُومِ الْحَاكِمِ وَالْقِيَادَةِ وَالْخُلُودِ، فَحِينَ تَقُولُ فِي مَدْحِ الْمُتَوَكِّلِ(الأصفهاني، 1371هـ–1952م، 3/19–2)، [من البحر السريع]:

اِسْتَقْبَلَ المَلِكُ إِمَام الهُدَى عَـامَ ثَـــلَاثٍ وَثَـلَاثِـيـنَـا
خِلَافَـةً أَفْضَتْ إِلَى جَعْفَرٍ وَهُوَ اِبْنُ سَبْعٍ بَعْدَ عِشْرِيْنَا
إِنّـا لنَـرْجُو يَا إِمَامَ الهُدَى أَنْ تَمْلِكَ المـلك ثَمَانِيْـنَـا
لَا قَدَّسَ اللهُ اِمْرِأً لَمْ يَقُـلْ على دُعَـائِـي لَـكَ: آمِيْـنَـا

فَإِنَّهَا لَا تَكْتَفِي بِإِضْفَاءِ الشَّرْعِيَّةِ الشِّعرِيَّةِ عَلَى خِلَافَتِهِ؛ بَلْ تُسَائِلُ فِي عُمْقِ النَّصِّ مَعْنَى السُّلْطَةِ وَالدَّوَامِ، جَاعِلَةً مِنَ الدُّعَاءِ وَالرَّقْمِ وَالتَّارِيخِ رُمُوزاً لِوَعيِ الزَّمَنِ وَالْوُجُودِ، وَهَنَا يَتَحَوَّلُ الْمَدِيحُ مِنْ غَرَضٍ إِلَى تَأَمُّلٍ شِعْرِيٍّ فِي السُّلْطَةِ وَالزَّمَنِ وَالذَّاتِ.

أَمَّا فِي شِعرِهَا الْوَصْفِيِّ وَالْغَزْلِيِّ، فَيَتَجَلَّى مَا يُمْكِنُ وَصْفُهُ بِـ "جَمَالِيَّاتِ الْأَنَا الْأُنْثَوِيَّةِ"؛ إِذْ يَتَدَاخَلُ فِي نُصُوصِهَا الْحِسِّيُّ بِالْفِكْرِيِّ، وَالْعَاطِفَةُ بِالتَّفْكِيرِ الْجَمَالِيِّ، فَتَنْأَى عَنِ الْغَزْلِ الْجَسَدِيِّ الْمُبَاشِرِ نَحْوَ غَزْلٍ مَعْرِفِيٍّ رَمْزِيٍّ يُعِيدُ تَعْرِيفَ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى دَاخِلَ النِّظَامِ الْخِطَابِيِّ الْعَبَّاسِيِّ، وَيَظْهَرُ فِي هَذِهِ الْمَقَاطِعِ نَزْوَعٌ وَاضِحٌ نَحوَ اقْتِصَادِ اللُّغَةِ وَالتَّكْثِيفِ الدِّلَالِيِّ، وَهُوَ سِمَةٌ جَوْهَرِيَّةٌ فِي الْقَصِيدَةِ الْفِكْرَةِ الَّتِي تَنْبَنِي عَلَى الْوَمْضَةِ لَا عَلَى الِامْتِدَادِ.

وَفِي مَقَاطِعِ الرِّثَاءِ الَّتِي تُنْسَبُ إِلَيْهَا، يَظْهَرُ وَعْيُهَا الْمَأْسَاوِيُّ بِالزَّمَنِ وَالتَّحَوُّلِ السِّيَاسِيِّ؛ حَيْثُ يَتَّخِذُ الرِّثَاءُ عِنْدَهَا شَكْلَ تَأَمُّلٍ وُجُودِيٍّ فِي الْفَقْدِ وَالتَّحَوُّلِ لَا مُجَرَّدَ تَسْجِيلٍ عَاطِفِيٍّ لِلْحُزْنِ؛ فَهِيَ لَا تَرْثِي أَشْخَاصًا بِقَدْرِ مَا تَرْثِي فِكْرَةَ السُّلْطَةِ الزَّائِلَةِ وَالْعُمْرِ الْعَابِرِ، مِمَّا يَجْعَلُ رِثَاءَهَا نَصًّا يَتَقَاطَعُ مَعَ الْفَلْسَفَةِ الشِّعْرِيَّةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي بُعْدِهَا الْإِنْسَانِيِّ الْعَمِيقِ.

وَعَلَيْهِ، فَإِنَّ أَغْرَاضَ شِعرِ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ تُمَثِّلُ تَحَوُّلاً مِنَ الْغَرَضِ إِلَى الرُّؤْيَةِ، وَمِنَ الْمَوْضُوعِ إِلَى الْبُنْيَةِ الْفِكْرِيَّةِ؛ إِذْ أَعَادَتْ مِنْ خِلَالِ مُقَطَّعَاتِهَا الْقَصِيرَةِ بِنَاءَ الْخَرِيطَةِ الْجَمَالِيَّةِ لِلشِّعْرِ الأُنثَوِيِّ الْعَبَّاسِيِّ عَلَى أُسُسٍ تَتَقَاطَعُ فِيهَا الذَّاتُ وَالْوَعْيُ وَالسُّلْطَةُ، وَبِذَلِكَ غَدَتْ تَجْرِبَتُهَا الشِّعرِيَّةُ أَحَدَ أَوَائِلِ النَّمَاذِجِ الَّتِي تُجَسِّدُ مَا يُمْكِنُ تَسْمِيَتُهُ بِـ "تأنيث القصيدة[1]" فِي التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، حَيْثُ يَنْصَهِرُ الْحَدَثُ فِي الْفِكْرَةِ، وَالْعَاطِفَةُ فِي الرُّؤْيَةِ، وَالْأُنُوثَةُ فِي الْقَوْلِ الشِّعرِيِّ الْوَاعِي بِذَاتِهِ، وَفِيمَا يَأْتِي مَعْرَضُ الْحَدِيثِ عَمَّا نَظَمَتْ مِنْ شِعْرٍ تَنَوَّعَتْ أَغْرَاضُهُ:

الْمَدِيحُ:

يُعَدُّ الْمَدِيحُ أَحَدَ أَبْرَزِ الْأَغْرَاضِ الَّتِي تَجَلَّتْ فِي شِعْرِ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ قِرَاءَتُهُ فِي ضَوْءِ الْمَفْهُومِ التَّقْلِيدِيِّ الَّذِي يَجْعَلُ الْمَدِيحَ اسْتِجَابَةً لِنِعْمَةٍ مَادِّيَّةٍ أَوْ وِلَاءٍ سِيَاسِيٍّ؛ بَلْ بِوَصْفِهِ خِطَاباً رَمْزِيّاً لِإِعَادَةِ بِنَاءِ الذَّاتِ دَاخِلَ مَنْظُومَةِ السُّلْطَةِ؛ فَالشَّاعِرَةُ الَّتِي انْتَقَلَتْ مِنْ مَوْقِعِ الْجَارِيَةِ الْمَمْلُوكَةِ إِلَى مَوْقِعِ الشَّاعِرَةِ الحُرَّةِ والْمُقَرَّبَةِ، أَعَادَتْ عَبْرَ الْمَدِيحِ إِنْتَاجَ عِلَاقَتِهَا بِالْمُتَوَكِّلِ فِي صِيغَةٍ لُغَوِيَّةٍ تُحَوِّلُ الِامْتِنَانَ إِلَى سُلْطَةٍ رَمْزِيَّةٍ.

إِنَّ مَدْحَ فَضْلٍ لِلْمُتَوَكِّلِ لَا يَنْهَضُ عَلَى الْمُحَاكَاةِ الْبَلَاغِيَّةِ فَحَسْبُ؛ بَلْ يَتَضَمَّنُ اسْتِرَاتِيجِيَّةَ اعْتِرَافٍ مُتَبَادَلٍ: فَهِيَ تُثْبِتُ وُجُودَهَا فِي الْمَشْهَدِ السِّيَاسِيِّ بِوَصْفِهَا صَوْتاً قَادِراً عَلَى التَّأْثِيرِ فِي الْوَعْيِ الْجَمْعِيِّ لِلْبَلَاطِ، فِيمَا يُثَبِّتُ الْخَلِيفَةُ صُورَتَهَا دَاخِلَ النِّظَامِ السُّلْطَوِيِّ بِوَصْفِهَا «الشَّاعِرَةَ الْمُفَضَّلَةَ» الَّتِي تُجِيدُ التَّعْبِيرَ عَنْ مَجْدِهِ، وَهَكَذَا يَصْبِحُ الْمَدِيحُ هُنَا تَبَادُلاً رَمْزِيّاً بَيْنَ اللُّغَةِ وَالسُّلْطَةِ، بَيْنَ الْقَوْلِ الْأُنْثَوِيِّ وَالْهَيْمَنَةِ الذُّكُورِيَّةِ؛ حَيْثُ تَمْنَحُ الشَّاعِرَةُ الْخَلِيفَةَ الْخُلُودَ بِالْكَلِمَةِ، فَيَمْنَحُهَا هُوَ الْخُلُودَ بِالْمَنزلة.

(1) -الذحل: الحقد والضغينة (ابن منظور، حرف الذال، 21/6).

وَمِنْ مَنْظُورِ النَّقْدِ الْحَدَاثِيِّ، يُمْكِنُ النَّظَرُ إِلَى شِعْرِ الْمَدِيحِ عِنْدَ فَضْلٍ بِوَصْفِهِ قَصِيدَةَ فِكْرَةٍ تَشْتَغِلُ عَلَى تَمْثِيلِ الْوَعْيِ بِالتَّحَرُّرِ عَبْرَ اللُّغَةِ؛ فَالْمَدِيحُ لَيْسَ خُضُوعاً؛ بَلْ تَحْوِيلاً لِمَوْقِعِ التَّبَعِيَّةِ إِلَى مَوْقِعِ الْقَوْلِ، فَالشَّاعِرَةُ الَّتِي كَانَتْ تُبَاعُ وَتُشْتَرَى صَارَتْ تُنْشِدُ خِطَابَهَا أَمَامَ رَأْسِ الدَّوْلَةِ، وَتَمَارِسُ عَبْرَ اللُّغَةِ وذلك بغية تأكيد نَوْع مِنَ أنواع الهيمنة يمكن تسميته بالهَيْمَنَةِ الخَطَابِيَّة الناعمة–إن صَحَّ التعبير–؛ أَيْ إِعَادَةَ تَعْرِيفِ الْقُوَّةِ مِنْ خِلَالِ سُلْطَةِ التَّعْبِيرِ.

إِنَّ الِامْتِنَانَ الَّذِي يَظْهَرُ عَلَى السَّطْحِ فِي شِعْرِهَا يَخْفِي فِي الْعُمْقِ وَعْياً بِالذَّاتِ الْأُنْثَوِيَّةِ الْمُبْدِعَةِ الَّتِي تُدْرِكُ حُدُودَ وُجُودِهَا دَاخِلَ النِّظَامِ السُّلْطَوِيِّ؛ لَكِنَّهَا تُمَارِسُ حُرِّيَّتَهَا دَاخِلَ تِلْكَ الْحُدُودِ نَفْسِهَا عَبْرَ الْفِعْلِ اللُّغَوِيِّ، وَبِذَلِكَ يَتَحَوَّلُ الْمَدِيحُ لَدَيْهَا إِلَى نَوْعٍ مِنَ الْمُسَاوَمَةِ الْجَمَالِيَّةِ بَيْنَ الطَّاعَةِ وَالْحُرِّيَّةِ؛ حَيْثُ تُجِيدُ اسْتِخْدَامَ الشِّعْرِ لِتَثْبِيتِ حُضُورِهَا فِي الذَّاكِرَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ لِلْعَصْرِ، وَبِهَذَا الْمَعْنَى فَإِنَّ مَدِيحَ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ لَا يُمْكِنُ اعْتِبَارُهُ تَكْرَاراً لِلنَّمَطِ التَّقْلِيدِيِّ؛ بَلْ هُوَ إِعَادَةُ صِيَاغَةٍ لِلْغَرَضِ فِي ضَوْءِ وَعْيِهَا الطَّبَقِيِّ وَالْأُنْثَوِيِّ، لِتَصْبِحَ قَصَائِدُهَا وَثَائِقَ رَمْزِيَّةً تُجَسِّدُ صِرَاعَ الْأُنْثَى الْمُبْدِعَةِ بَيْنَ التَّبَعِيَّةِ وَالْمَنزلة، وَبَيْنَ الْمَمْلُوكِيَّةِ وَالِاعْتِرَافِ، وَمِنْ ثَمَّ، يَغْدُو شِعْرُ الْمَدِيحِ عِنْدَهَا فَضَاءً لِقَوْلِ الذَّاتِ لَا لِتَمْجِيدِ الْآخَرِ فَحَسْبُ، وَيَشْكِّلُ مَرْحَلَةً مُبَكِّرَةً مِنَ الْمَدِيحِ الْفِكْرِيِّ أَوْ قَصِيدَةِ الْفِكْرَةِ الأُنثَوِيّةِ فِي التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ.

وَلَمْ تُحْفَظْ تِلْكَ الْمَدَائِحُ كَامِلَةً فِي الْمَصَادِرِ، وَلَمْ يَبْقَ سِوَى مَا قَالَتْهُ فِي الْمُتَوَكِّلِ وَهُوَ يَسْتَقْبِلُ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ، وَقَدْ دَارَتْ تِلْكَ الْأَبْيَاتُ فِي الْمَصَادِرِ الْأَدَبِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ لِوُضُوحِهَا وَإِيجَازِهَا وَسُهُولَتِهَا وَلِلتَّغَنِّي بِهَا، وَلِكَوْنِهَا تُعَدُّ وَثِيقَةً أَرَّخَتْ تَوْلِيَةَ الْمُتَوَكِّلِ آنَذَاكَ، وَذَكَرَتْ عُمُرَهُ وَصِفَاتِهِ وَالدُّعَاءَ لَهُ، وَإِجْبَارَ النَّاسِ عَلَى الْقَبُولِ وعلى مباركة توليه العرش، حَيْثُ قَالَتْ (الْأَصْفَهَانِيُّ، 1952م،19، 2–3)، [من البحر السريع]:

اِسْتَقْبَلَ المَلِكُ إِمَام الهُدَى عَـامَ ثَـــلَاثٍ وَثَـلَاثِـيـنَّـا
خِلَافَـةً أَفْضَتْ إِلَى جَعْفَرٍ وَهُوَ اِبْنُ سَبْعٍ بَعْدَ عِشْرِيْنَا
إِنَّـا لنَـرْجُو يَا إِمَامَ الهُدَى أَنْ تَمْلِكَ المـلك ثَمَـانِيْـنَـا
لَا قَدَّسَ اللهُ اِمْرأً لَمْ يَقُلْ على دُعَـائِـي لَـكَ: آمِيْـنَـا

عَلَّقَتْ مَيَّ خَلِيفٌ عَلَى أَبْيَاتِ فَضْلٍ فِي كِتَابِهَا (الشِّعْرُ النِّسَائِيُّ فِي أَدَبِنَا الْقَدِيمِ) قَائِلَةً: "وَقَدِ اسْتَطَاعَتْ بَعْضُ جَوَارِي الْقَصْرِ أَنْ يَعْكِسْنَ شَيْئاً مِنَ الضِّيقِ بِالْحَرَكَاتِ الثَّوْرِيَّةِ الْمُضَادَّةِ لِلْخِلَافَةِ بَدَلاً مِنْ لُغَةِ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ"(خليف، 1991م، 72)، وَلَمْ تَكْتَفِ خَلِيفٌ بِهَذَا النَّقْدِ لِلْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ؛ بَلْ ذَكَرَتْ نَمَاذِجَ مِنْ شِعْرِ فَضْلٍ لِتُعَقِّبَ عَلَيْهَا نَاقِدَةً شِعْرَهَا فِي الْخَبَرِ الْآتِي: "كَانَ سَعِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ يَلْتَقِي فَضْلاً فِي مَجَالِسِ الْأَدَبِ الَّتِي تَعْقِدُهَا، وَذَلِكَ لِيَخْتَبِرَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَهَا، أَوْ أَنْ يُوَسِّعَ لَهُ فِي قَلْبِهَا مَكَاناً، أَوْ أَنْ يَذُودَ عَنْهَا عُوَاءَ الْمُتَرَبِّصِينَ بِهَا، فَقَدْ ذَكَرَ جَعْفَرُ بْنُ قُدَامَةَ أَنَّ سَعِيدًا حَدَّثَهُ، قَالَ: قُلْتُ لِفَضْلَ الشَّاعِرَةِ: أَجِيزِي (الأصفهاني،1371هـ–1984م، 69)، [مِنَ الْبَحْرِ الْمُنْسَرِحِ]:

مَنْ لِمُحِبٍّ أَحَبَّ فِي صِغَرِهِ؟

فَقَالَتْ:

فَصَارَ أُحْدُوثَةً عَلَى كِبَرِهِ!

فَقُلْتُ:

مِـنْ نَـظْـرَةٍ شَـفَّـهُ وَأَرَّقَـــهُ

فَقَالَتْ:

فَكَانَ مَبْدَأَ هَوَاهُ مِنْ صَبْرِهِ!

ثُمَّ شُغِلَتْ بِالشَّرَابِ هُنَيْهَةً، ثُمَّ قَالَتْ:

لَوْلَا الْأَمَانِي لَمَاتَ مِنْ كَمَدٍ مُرّ اللَّيَالِـي يَزِيـدُ فِـي فِـكْـرِهِ
لَيْسَ لَـهُ مُسْـعِدٌ يُـسَاعِـدُهُ بِاللَّيْلِ فِي طُولِـهِ وَفِي قِصَـرِهِ
الْجَسْمُ يَبْلَـى فَلَا حَرَاكَ بِـهِ وَالرُّوحُ –فِيمَا أَرَى– عَلَى أَثَرِهِ

وَتَرَى مَيَّ يُوسُفَ خَلِيفٌ أَنَّ فِي قَوْلِ فَضْلٍ: "مَنْ لِمُحِبٍّ أَحَبَّ فِي صِغَرِهِ" بِأَنَّهُ: "الْحِوَارُ الشِّعْرِيُّ الَّذِي يَتَحَوَّلُ إِلَى ضَرْبٍ مِنَ التَّدَرُّبِ عَلَى الْقَوْلِ عَلَى مِنْهَاجِ الْمِصْرَاعِ الَّذِي قَذَفَ بِهِ الرَّجُلُ لِلشَّاعِرَةِ، فَإِذَا هِيَ تُجِيبُهُ بِاسْتِكْمَالِ الْبَيْتِ بِالْمِصْرَاعِ الثَّانِي لِتَدْخُلَ فِي بَابِ الْإِضَافَةِ، فَتَنْشِدُ ثَلَاثَةَ أَبْيَاتٍ تُحِيلُ مِنْ خِلَالِهَا لُغَةَ الْحِوَارِ إِلَى أُسْلُوبٍ لِاخْتِبَارِ الْقُدْرَةِ عَلَى النَّظْمِ الشِّعْرِيِّ، وَتَفْتِيتِ مَجَالِ الْقَوْلِ"(خليف، 1991م، 38)، وَالْغَالِبُ أَنَّهُ مُذْ لَفَظَ سَعِيدٌ كَلِمَةَ "أَجِيزِي" كَأَنَّهُ دَعَاهَا لِمُبَارَزَةٍ شِعْرِيَّةٍ هُوَ الْخَصْمُ فِيهَا وَالْحَكَمُ، دَعْوَةً لِمُبَارَزَةٍ شِعْرِيَّةٍ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ فِي بَلَاطِ الْخِلَافَةِ، لِيَبْرُزَ فِي نِهَايَةِ الْمُبَارَزَةِ الْفَائِزُ صَاحِبُ أَوْ صَاحِبَةُ الْمَوْهَبَةِ الْأَكْبَرِ وَالْقُدْرَةِ الْأَجْدَرِ فِي هَذَا الصِّرَاعِ الشِّعْرِيِّ الْغَرَامِيِّ وَالْقِتَالِيِّ فِي آنٍ مَعاً، وَتَوَقَّفَتْ خَلِيفٌ أَيْضاً أَمَامَ أَبْيَاتِهَا (الأصفهاني،1371ه-1984م، 79)، [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ]:

يَا مَنْ أَطَلْتُ تَفَرُّسِي فِي وَجْهِهِ وَتَنَفُّسِي
أَفْدِيكَ مِنْ مُتَدَلِّلٍ يَزْهِي بِقَتْلِ الأَنْفُسِ
هَبْنِي أَسَأْتُ وَمَا أَسَأْ تُ بَلَى أَقُوْلُ أَنَا المُسِي
أحلفتني أن لا أسا رق نظرةً في مجلس
فنظرت نظرة مخطئٍ ووصلتها بتفرّس
ونسيت أنّي قد حلف ت فما عقوبة من نسي؟
يا من حكاه الياسمين وطيب ريح النرجس
إغفر لعبدك ما جنا ه من اللّحاظ الخلّس

وَرَأَتْ فَضْلُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى أَنَّهَا تُحِيلُ الْمَوْقِفَ الْغَزْلِيَّ إِلَى صُوَرٍ ضَاحِكَةٍ تَدْخُلُ مِنْ خِلَالِهَا فِي بَابِ خِفَّةِ الظِّلِّ وَالظُّرْفِ الِاجْتِمَاعِيِّ، حِينَ تَتَغَزَّلُ فِي غُلَامٍ فَيَغَارُ مِنْ غَزْلِهَا سَعِيدٌ، وَرَأَتْهَا –فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ– "أَزَالَتْ مَسْحَةَ الْحَيَاءِ مِنْ عَالَمِهَا؛ إِذْ فَضْلُ العَبدِيَّة عِنْدَهَا مِنْ شَاعِرَاتِ اللَّهْوِ وَالْمُجُونِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ" (خليف،1991م،189–190)، وَلَكِنْ مَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ، فَلَا مَهْرَبَ مِنَ الِاعْتِرَافِ بِأَنَّ هَذِهِ الشَّاعِرَةَ اتَّصَفَتْ بِالْمَقْدِرَةِ عَلَى نَظْمِ الشِّعْرِ وَالْمُبَارَزَةِ بِمَوْهَبَتِهَا، وَأَشْعَارُهَا الَّتِي نُسِبَتْ إِلَيْهَا خَيْرُ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ.

الْحُبُّ:

أَمَّا عَنِ الْحُبِّ فَقَدْ كَانَ مِنْ أَهَمِّ الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي طَرَقَتْهَا فَضْلُ العَبدِيَّة، وَشَغَلَ مُدَّةً مِنْ حَيَاتِهَا، وَمَسَاحَةً مِنْ أَدَبِهَا، صَوَّرَتْ فِي أَشْعَارِهَا لَوْعَاتِهِ وَآهَاتِهِ، وَأَبَانَتْ عَنْ دَرَجَاتِهِ وَفَلْسَفَتِهِ لَدَيْهَا، وَعَبَّرَتْ عَنْ مَوَاقِفِهَا تُجَاهَ الْحُبِّ وَالْأَحِبَّةِ، فَكَانَتْ فَرْحَتُهَا فِي الْبَوْحِ تُوَازِي بُؤْسَهَا فِي النَّوْحِ، وَطَمَّ بَحْرُ مُفْرَدَاتِهَا الْوَصْلَ وَالْفِرَاقَ، وَالنَّجْوَى وَالشَّكْوَى، وَالِاغْتِرَافَ وَالِاعْتِرَافَ، وَالصَّدَّ وَالْإِقْبَالَ، وَالتَّلَظِّيَ وَالِانْطِفَاءَ، وَقَدْ مَلَكَ قَلْبَهَا –كَمَا وَرَدَ سَابِقاً– ثُلَاثَةُ أَشْخَاصٍ: الْمُتَوَكِّلُ، وَسَعِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَبَنَانُ الْمُغَنِّي، فَكَانَتْ تَشْدُو قَصَائِدَ الْحُبِّ طَوْعاً أَوْ طَلَباً، وَالْخَبَرُ الْآتِي خَيْرُ دَلِيلٍ عَلَى مَوْضُوعِ الْحُبِّ عِنْدَهَا: "قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَرْوَزِيُّ: قَالَ الْمُتَوَكِّلُ لِعَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ: قُلْ بَيْتاً، وَطَالَبَ فَضْلَ الشَّاعِرَةِ أَنْ تُجِيزَهُ، فَابْتَدَأَ عَلِيٌّ بِقَوْلِهِ [مِنَ الْبَحْرِ الْمُنْسَرِحِ]:

لَاذَ بِهَا يَشْتَكِي إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهَا مَلَاذَا

قَالَ: فَأَطْرَقَتْ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَتْ:

فَلَمْ يَزَلْ ضَارِعاً إِلَيْهَا تَهْطِلُ أَجْفَانُهُ رَذَاذَا
فَعَاتَبُوهُ فَزَادَ عِشْقاً فَمَاتَ وَجْداً فَكَانَ مَاذَا؟

فَأُطْرِبَ الْمُتَوَكِّلُ، وَقَالَ: أَحْسَنْتِ وَحَيَاتِي يَا فَضْلُ، وَأَمَرَ لَهَا بِمِائَتَيْ دِينَارٍ، وَأَمَرَ عَرِيباً فَغَنَّتْ فِيهَا صَوْتَ الْهَزَجِ(الأصفهاني، 1371هـ–1984م، 19/ 313).

الرِّثَاءُ:

يُصَنَّفُ مَا نَظَمَتْهُ فَضْلُ الْعَبْدِيَّةِ بَعْدَ مَقْتَلِ الْمُتَوَكِّلِ ضِمْنَ بَابِ "الرِّثَاءِ"؛ إِذْ يُمَثِّلُ هَذَا النَّصُّ اسْتِجَابَةً صَادِمَةً لِفَقْدٍ مُزْدَوَجٍ: فَقْدِ أَبِيهَا الروحي الْمُتَوَكِّلِ قَبْلَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، ثُمَّ فَقْدِ الْمُنْتَصِر، هَذَا التَّتَابُعُ مِنَ الْخَسَارَاتِ أَظْهَرَ أَثَراً نَفْسِيّاً وَاضِحاً في الشَّاعِرَةِ، أَوّلاً تُجَاهَ سَعِيدِ بْنِ حُمَيْدٍ ثُمَّ تُجَاهَ بَنَانَ بْنِ عَمْرٍو، مَا يَجْعَلُ نُصُوصَهَا تَمِيلُ إِلَى تَأَمُّلِ أَثَرِ الزَّمَنِ وَالْحَيَاةِ في الْإِنْسَانِ أَكْثَرَ مِنْ كَوْنِهَا مُجَرَّدَ رِثَاءٍ تَقْلِيدِيٍّ يَذْكُرُ مَنَاقِبَ الْمُتَوَفَّى، حَيثُ قَالَت(الأصفهاني، 1371هـ–1984م، 310/19)، [مِنَ الْبَحْرِ الْبَسِيطِ]:

إِنَّ الزَّمَانَ بِذِحْلٍ[1] كَـانَ يَطْلُبُنَـا مَـا كَـانَ أَغْفَلَنَا عَنْهُ وَأَسْهَانَا
مَالِي وَلِلدَّهْرِ قَدْ أَصْبَحَتْ هِمَّتُهُ مَالِي وَلِلدَّهْرِ مَا لِلدَّهْرِ لَا كَانَا

فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ يُمْكِنُ مُلَاحَظَةُ أَنَّ فَضْلَ الْعَبْدِيَّةَ تُعَبِّرُ عَنْ وَعْيٍ بِالزَّمَنِ وَتَقَلُّبَاتِهِ؛ حَيْثُ تَظْهَرُ مُفْرَدَاتُ الْحُزْنِ وَالِافْتِقَادِ كَوَسِيلَةٍ لِاسْتِكْشَافِ تَجْرِبَةِ الْفَقْدِ، وَلَيْسَ فَقَطْ لِوَصْفِ الْمَوْتِ، هَذَا يُتِيحُ قِرَاءَتَهَا ضِمْنَ إِطَارِ قَصِيدَةِ الْفِكْرَةِ الْحَدِيثَةِ، الَّتِي تُرَكِّزُ عَلَى الْمَعْنَى الدَّاخِلِيِّ وَالِانْفِعَالِ النَّفْسِيِّ لِلشَّاعِرَةِ تُجَاهَ الْحَيَاةِ وَالزَّمَنِ، بَدَلَ الِاقْتِصَارِ عَلَى الطَّقْسِ الشِّعْرِيِّ التَّقْلِيدِيِّ لِلرِّثَاءِ، وَفِي هَذَا السِّيَاقِ، تَتَجَلَّى بَصْمَةُ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ الْفَنِّيَّةُ فِي تَحْوِيلِهَا الرِّثَاءَ مِنْ إِطَارِهِ الْوَصْفِيِّ إِلَى فَضَاءٍ تَأَمُّلِيٍّ يُنَاقِشُ إِشْكَالِيَّاتِ الْوُجُودِ وَالزَّوَالِ، فَمَقَاطِعُهَا الشِّعْرِيَّةُ لَا تَرْتَكِزُ عَلَى الْبُكَاءِ وَالْعَوَاطِفِ السَّطْحِيَّةِ؛ بَلْ تَغُوصُ فِي عُمْقِ التَّجْرِبَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ لِلْفَقْدِ، مُسْتَخْدِمَةً لُغَةً مُكَثَّفَةً تَحْمِلُ دَلَالَاتٍ وَجَدَانِيَّةً وَفِكْرِيَّةً، وَبِذَلِكَ تُقَدِّمُ لَنَا نَمُوذَجاً مُبَكِّراً لِلشِّعْرِ النِّسْوِيِّ الْوُجُودِيِّ، الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ الْإِحَالَةِ التَّارِيخِيَّةِ وَالتَّجْرِبَةِ الشَّخْصِيَّةِ فِي بُنْيَةٍ شِعْرِيَّةٍ مُتَجَانِسَةٍ، وَيُعَدُّ هَذَا الْمَلْمَحُ فِي شَكْلِ الرِّثَاءِ قَاسِماً مُشْتَرَكاً بَيْنَ شَوَاعِرِ هَذَا الْعَصْرِ، فَتَرَى الشَّاعِرَةُ فِي مَقْتَلِ سَيِّدِهَا نِهَايَةً لَهَا، فَلَا تَرْثِي مَنْ مَاتَ قَدرَ مَا تَرثِي حَيَاتَهَا، وَكَأَنَّ "فَضْلاً" –هُنَا– تَتَشَبَّهُ بِجَوَارِي الْخُلَفَاءِ الَّذِينَ قَضَوْا فَحَزِنَتْ عَلَيْهِنَّ جَوَارِيهِنَّ، وَبَقِينَ عَلَى ذِكْرَى مَنْ مَلَكَهُنَّ مِنْ خُلَفَاءَ، وَمِمَّا قَالَتْهُ (الأصفهاني، 1371هـ–1984م، 70) [من البحر البسيط]:

إنَّ الزَّمانَ سقانا من مرارته بعـد الحلاوة أنفاسًا فأروانـا
أبدى لنا تارةً منه فأضحكنا ثمَّ انثنى تارةً أخرى فأبكانـا
إنَّا إلى الله فيما لا يزال لنا من القضاء ومن تلوين دنيانا
دنيا نراها ترينا من تصرُّفها ما لا يدوم مصافاةٍ وأحزانا
ونحن فيها كأنَّا لا نزايلها للعيش أحياؤها يتلوه موتانا

وَنُلْحَظُ فِي أَبْيَاتِ الرِّثَاءِ الَّتِي نَظَمَتْهَا الشَّاعِرَةُ نَبْرَةَ الْحُزْنِ، وَأَلْفَاظَ الْعِبْرَةِ، وَالْوَفَاءَ لِسَيِّدِهَا، وَالِامْتِنَانَ لِوَلِيِّ نِعْمَتِهَا، وَكَيفَ أَنَّهَا حَفِظَتِ الْوِدَّ، فَبَعْدَ رَحِيلِ الْخَلِيفَةِ لَمْ تَتَغَيَّرْ مَشَاعِرُهَا فَحَسْبُ؛ بَلْ تَغَيَّرَتْ كُلُّ حَيَاتِهَا، تَأَثَّرَتْ بِرَحِيلِ الْخَلِيفَةِ الَّذِي كَانَ السَّبَبَ فِي أَنَّهَا أُعْتِقَتْ وَأَصْبَحَتْ حُرَّةً، وَهُوَ مَنْ جَعَلَ لَهَا مَنْزِلَةً رَفِيعَةً فِي بَلَاطِهِ وَبَيْنَ الشُّعَرَاءِ، وَقَدْ بَثَّتْ مَشَاعِرَ الْحُزْنِ فِي كَلِمَاتِ شِعْرِهَا، بِحَيْثُ يَشْعُرُ الْقَارِئُ بِصِدْقِ مَشَاعِرِ اللَّوْعَةِ وَالْحُزْنِ عَلَى رَحِيلِ الْمُتَوَكِّلِ وليّ نعمتها.

الْوَصْفُ:

تَتَنَوَّعُ أَبْعَادُ رُؤْيَةِ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ الشِّعْرِيَّةِ بَيْنَ الرِّثَاءِ وَالْوَصْفِ، وَأَحْيَاناً مَا يَدخُلُ ضِمْنَ سِيَاقِ الْعَلَاقَاتِ الْقَصَرِيَّةِ وَالْإِخْوَانِيَّاتِ، فَفِي بَعْضِ الْمَقَاطِعِ، يَظْهَرُ الْجَانِبُ الْوَصْفِيُّ لِشَاعِرِيَّتِهَا حِينَ تَصِفُ حوادثًا يَوْمِيَّةً فِي بَلَاطِ الْخَلِيفَةِ، مِثْلَ ظُهُورِهَا أَمَامَ الْمُتَوَكِّلِ فِي يَوْمِ نَيْرُوزَ بِمَا فِي يَدِهَا مِنْ كَأْسٍ، أَوْ حِينَ تُرَافِقُ الْخَلِيفَةَ فِي تَنَقُّلَاتِهِ دَاخِلَ الْقَصْرِ، مُتَتَبِّعَةً مَسَارَ حَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ، وَظَلَّتْ فَضْلُ العَبدِيَّة تَسِيرُ فِي رِكَابِ الْقَصْرِ، تَذْهَبُ حَيْثُمَا يَذْهَبُ الْخَلِيفَةُ، وَتَحُلُّ حَيْثُمَا حَلَّ، وَمِمَّا ذَكَرَهُ أَبُو الْفَرَجِ: "أَنَّ الْمُتَوَكِّلَ أَمَرَ أَنْ تُضْرَبَ مَضَارِبُهُ عَلَى "الْقَاطُولِ[2]"، وَيَتَحَدَّرَ هُنَاكَ، وَيُقِيمَ شَتْوِيَّةً عَلَى الْقَاطُولِ، فَقَالَتْ فَضْلُ الشَّاعِرَةُ و(الأصفهاني، 1404هـ–1984م، 71)، [مِنَ الْبَحْرِ الْبَسِيطِ]:

قالـوا لنـا بالقـاطـولِ مشتانـا ونحـنُ نـأمـلُ صـنـعَ اللـه مـولانـا
والنَّاسُ يأتمرونَ الغيبَ بينهـمُ واللـهُ فـي كـلِّ يـومٍ محـدثٌ شانـا
ربٌّ يرى فوقَ ملكِ العالمينَ لهُ ملكًا وفوقَ ذوي السُّلطانِ سلطانا

وَغَنَّتْ فِيهِ عَرِيبٌ، فَلَمَّا أَخَذَ النَّبِيذَ فِي الْمُتَوَكِّلِ غَنَّتْهُ بِهَذَا الصَّوْتِ فَطَرِبَ، وَأَمَرَ بِإِبْطَالِ مَا كَانَ عَزَمَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: إِذَا كَرِهْتُمْ هَذَا كَرِهْنَاهُ""(الأصفهاني، 1371هـ–1952م، 310/19)، تَدُلُّ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ عَلَى وَعْيِ الشَّاعِرةِ بِتَفَاعُلَاتِ السُّلْطَةِ وَالْمَكَانِ؛

([1])- القاطول: اسم نهر أو مجرى مائي كان موجودًا في موقع مدينة سامراء قبل أم تعمّر، ويمكن اعتباره نهرًا مقطوعًا من دجلة. (الحموي، 1399هـ-1979م،297/4).

([2])-الليان: يقال: نزلوا بليان الأرض ورخاء العيش ونعمته، والليين: ضد الخشونة، ويقال: في فعل الشيء الليين: لأن الشيء يلين لينًا وليًا وتلين، وشيء لين مخفف منه، والجمع ألياء، (ابن منظور، د/تا، حرف اللام، 269/13).

إِذْ تَصُوّرُ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَرَبِّهِ وَالزَّمَنِ بِشَكْلٍ مُتَكَامِلٍ؛ فَالْأَنْظِمَةُ وَالحوادث الْيَوْمِيَّةُ، كَمَا يَصِفُهَا أَبُو الْفَرَجِ، تَصْبِحُ مُتَنَفَّساً لِلتَّعْبِيرِ عَنْ مَوْقِعِ الشَّاعِرَةِ مِنَ السُّلْطَةِ، وَعَنْ إِدْرَاكِهَا لِدَوْرِ الْفَرْدِ فِي مَنْظُومَةٍ أَكْبَرَ مِنْ حَيَاتِهِ الْخَاصَّةِ، يُمْكِنُ قِرَاءَةُ هَذِهِ النُّصُوصِ ضِمْنَ إِطَارِ قَصِيدَةِ الْفِكْرَةِ، حَيْثُ تُوظَّفُ تَفَاصِيلُ الْوَاقِعِ لِتَسْلِيطِ الضَّوْءِ عَلَى انْعِكَاسَاتِ السُّلْطَةِ وَالْحَيَاةِ الْقَسْرِيَّةِ عَلَى الْفَرْدِ، بَدَلَ الِاقْتِصَارِ عَلَى الْجَمَالِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ لِلْوَصْفِ أَوِ الْإِطْرَاءِ.

الْغَزَلُ:

يُرَكِّز السَّرْدُ التَّارِيخِيُّ لِأَبِي الْفَرَجِ عَلَى دَوْرِ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ فِي الْقَصْرِ، لَيْسَ فَقَطْ كَشَاعِرَةٍ؛ بَلْ كَفَاعِلَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ تَتَحَرَّكُ ضِمْنَ شَبَكَةِ الْعَلَاقَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ، فَتَفَاصِيلُ مَوْقِفِهَا أَمَامَ الْمُتَوَكِّلِ فِي يَوْمِ نَيْرُوزَ، بِمَا فِي يَدِهَا مِنْ كَأْسٍ وَمَسْطَرَةِ الْمِسْكِ عَلَى خَدِّهَا، تَكْشِفُ عَنْ وَعْيِهَا الرَّمْزِيِّ وَقُدْرَتِهَا عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الذَّاتِ وَالْمَشَاعِرِ ضِمْنَ الْإِطَارِ السُّلْطَانِيِّ، وَهُوَ مَا يُبْرِزُ مُسْتَوَى التَّأْثِيرِ النَّفْسِيِّ وَالِاجْتِمَاعِيِّ لِلشَّاعِرَةِ فِي سِيَاقِ الْبَلَاطِ، وَيُحَدِّثُنَا أَبُو الْفَرَجِ عَنْ دَوْرِ فَضْلٍ الْجَدِيدِ –فِي الْقَصْرِ– بِقَوْلِهِ: "أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ حَيْثُ قَالَ: خَرَجَتْ قَبِيحَةُ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ يَوْمَ نَيْرُوزَ وَبِيَدِهَا كَأْسُ بَلَّوْرٍ بِشَرَابٍ صَافٍ، فَقَالَ لَهَا: مَا هَذَا فَدَيْتُكِ؟! قَالَتْ: هَدِيَّتِي لَكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، عَرَّفَكَ اللَّهُ بَرَكَتَهُ! فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِهَا، وَإِذَا عَلَى خَدِّهَا: جَعْفَرُ، مَكْتُوباً بِالْمِسْكِ، فَشَرِبَ الْكَأْسَ، وَقَبَّلَ خَدَّهَا، وَكَانَتْ فَضْلُ الشَّاعِرَةُ وَاقِفَةً عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَتْ (الأصفهاني،1371هـ–1952م، 19/307–308)، [مِنَ الْبَحْرِ الطَّوِيلِ]:

وَكاتبة بِالْمِسْكِ فِي الْخَدِّ جَعْفَراً بِنَفْسِي مَخَطُّ الْمِسْكِ مِنْ حَيْثُ أَثَّرَا
لَئِنْ كَتَبَتْ بِالْمِسْكِ سَطْراً بِكَفِّهَا لَقَدْ أَوْدَعَتْ قَلْبِي مِنَ الْحُبِّ أَسْطُرَا
فَيَا مَنْ لِمَمْلُوكٍ لِمَلْكِ يَمِينِهِ مُطِيعٌ لَهُ فِيمَا أَسَرَّ وَأَظْهَرَا
فَيَا مَنْ هَوَاهَا فِي السَّرِيرَةِ جَعْفَرٌ سَقَى اللَّهُ مَنْ سَقَى ثَنَايَاكَ جَعْفَرَا

فِي الْأَبْيَاتِ السَابِقَة، يَسْتَخْدِمُ النَّصُّ رُمُوزاً حِسِّيَّةً وَمُبَاشِرَةً لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْحُبِّ وَالْوَلَاءِ، كَمَا تَعْكِسُ الطَّرِيقَةَ الَّتِي تُوَظِّفُ بِهَا فَضْلُ الْعَبْدِيَّةِ لُغَةَ الْمِسْكِ وَالْكِتَابَةِ عَلَى الْخَدِّ أَثَرَ الْمَشَاعِرِ الدَّاخِلِيَّةِ فِي الْوَاقِعِ الْخَارِجِيّ، هَذَا التَّصْوِيرُ يُتِيحُ قِرَاءَةَ النَّصّ ضِمْنَ إِطَارِ قَصِيدَةِ الْفِكْرَةِ، حَيْثُ يَرْتَكِزُ عَلَى الْأَفْكَارِ وَالْمَشَاعِرِ الشَّخْصِيَّةِ لِلشَّاعِرَةِ وَعَلَاقَتِهَا بِالسُّلْطَةِ، بَدَلَ الِاقْتِصَارِ عَلَى الْجَمَالِيَّةِ الشَّكْلِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ أَوْ عَلَى الرِّثَاءِ فَقَطْ؛ إِذْ تَتَحَوَّلُ تَفَاصِيلُ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ فِي الْبَلَاطِ إِلَى مَسَاحَةٍ لِلتَّأَمُّلِ فِي الْعَلَاقَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْحُبِّ وَالْوَلَاءِ، وَتَصْبِحُ الْأَبْيَاتُ مَسَاحَةً لِاسْتِكْشَافِ النَّفْسِ وَالزَّمَانِ وَالسُّلْطَةِ مَعاً، وَفِي مَوضِعٍ آخَرَ أَمَرَ المغنية عَرِيب فَغَنَّتْ فِيهَا، وَقَالَتْ فِي ذَلِكَ أَيْضاً (الأصفهاني، 1371هـ–1952م، 19/ 311)، [مِنَ الْبَحْرِ السَّرِيعِ]:

سَلَافَةٌ كَالْقَمَرِ الْبَاهِرِ فِي قَدَحٍ كَالْكَوْكَبِ الزَّاهِرِ
يُدِيرُهَا خِشْفٌ كَبَدْرِ الدُّجَى فَوْقَ قَضِيبٍ أَهْيَفَ نَاضِرِ
عَلَى فَتًى أَرْوَعَ مِنْ هَاشِمٍ مِثْلَ الْحُسَامِ الْمُرْهَفِ الْبَاتِرِ

عَبْرَ مَا تَبَقَّى مِنْ نُتَفِ شِعْرِ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ، يَتَضَحُ أَنَّهَا لَمْ تُغْفِلْ أَيَّ غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْكِلَاسِيكِيّ، سَوَاءٌ فِي الرِّثَاءِ أَوِ الْوَصْفِ أَوِ الْمَدْحِ، مَعَ اسْتِثْنَاءِ الْهِجَاء، الَّذِي لَمْ تَلْجَأْ إِلَيْهِ مُطْلَقاً، مَا يَعْكِسُ تَوَجُّهَهَا الشُّعُورِيَّ وَالْأَخْلَاقِيَّ وَالْفِكْرِيَّ، ويُمْكِنُ الْقَوْلُ إِنَّ شَاعِرِيَّةَ فَضْلٍ هُنَا تُمَثِّلُ تَنَوُّعاً وَاعِياً فِي الْغَرَضِ وَالْمَضْمُونِ، مَعَ مُرَاعَاةِ الِانْسِجَامِ بَيْنَ الشُّعُورِ وَالْمَوْضُوعِ، وَهُوَ مَا يَجْعَلُ نُصُوصَهَا قَابِلَةً لِلْقِرَاءَةِ ضِمْنَ مَنْظُورِ قَصِيدَةِ الْفِكْرَةِ الْحَدِيثَةِ، الَّتِي تُرَكِّزُ عَلَى الْمَعْنَى النَّفْسِيّ وَالِاجْتِمَاعِيّ وَالرَّمْزِيّ لِلشَّاعِرِ، بَدَلَ الِاقْتِصَارِ عَلَى الشَّكْلِ التَّقْلِيدِيّ أَوِ الطَّقْسِ الشِّعْرِيّ الْمُجَرَّدِ.

تَحْلِيلُ الْأُسْلُوبُ وَالْأَدَاءُ اللُّغَوِيُّ:

تَوَقَّفَ دَارِسُو الشِّعْرِ الْعَبَّاسِيّ عِنْدَ السِّمَاتِ الْأُسْلُوبِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ الَّتِي مَيَّزَتِ النَّصَّ الْعَبَّاسِيَّ، فَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الشَّاعِرَ الْعَبَّاسِيَّ يَعْتَمِدُ قَدْراً لَا يُسْتَهَانُ بِهِ مِنَ الْمُعْجَمِ الشِّعْرِيِّ التَّقْلِيدِيِّ وَالتَّرَاكِيبِ اللُّغَوِيَّةِ الْقَدِيمَةِ كَأَدَوَاتٍ تَعْبِيرِيَّةٍ رَئِيسِيَّةٍ، لَا سِيَّمَا فِي نَظْمِ الْقَصَائِدِ الْمُحْكَمَةِ الْبُنْيَةِ، وَيَسْتَعِينُ بِهَا بِشَكْلٍ مُرَكَّزٍ لِتَشْكِيلِ الْبِنَاءِ الشِّعْرِيِّ وَاسْتِنْهَاضِ الصُّوَرِ وَالْمَعَانِي، وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ، لَجَأَ الشَّاعِرُ الْعَبَّاسِيُّ أَيْضاً إِلَى مَعْجَمٍ عَصْرِيٍّ مُتَجَدِّدٍ، مُسْتَمِدّاً عَنَاصِرَهُ التَّعْبِيرِيَّةَ مِنْ لُغَةِ النَّاسِ الْيَوْمِيَّةِ، وَالْمُفْرَدَاتِ الدَّخِيلَةِ،

وَمُصْطَلَحَاتِ الْعُلُومِ الْمُخْتَلِفَةِ، إِضَافَةً إِلَى الِاسْتِعَارَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْحَدِيثِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ وَالشَّعْبِيَّةِ، وَنَتِيجَةً لِذَلِكَ، اقْتَرَبَ الشِّعْرُ الْعَبَّاسِيُّ مِنْ لُغَةِ الْعَامَّةِ، مَعَ الْحِفَاظِ عَلَى جَمَالِيَّاتِ النَّصِّ وَمَتَانَةِ بُنْيَانِهِ.

وَعِنْدَ إِلْقَاءِ نَظْرَةٍ عَامَّةٍ عَلَى أُسْلُوبِ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ وَأَدَائِهَا اللُّغَوِيِّ، يَتَضَحُ أَنَّ لَهَا أُسْلُوبَهَا الْخَاصَّ وَبَصْمَتَهَا الْفَنِّيَّةَ الْمُتَمَيِّزَةَ الَّتِي حَدَّدَتْ مَلَامِحَ شَخْصِيَّتِهَا الشِّعْرِيَّةَ، إِلَى حَدٍّ يُمْكِنُ مَعَهُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ نَصٍّ شِعْرِيٍّ مِنْ إِنْتَاجِهَا أَوْ عَدَمِهِ، هَذَا الْوَعْيُ بِالْأُسْلُوبِ وَاللُّغَةِ يَجْعَلُ قِرَاءَتَهَا أَكْثَرَ دِقَّةً، سَوَاءٌ مِنْ حَيْثُ التَّحْلِيلِ الْفَنِيِّ أَوْ مِنْ مَنْظُورِ قَصِيدَةِ الْفِكْرَةِ الَّتِي تُرَكِّزُ عَلَى الْمَعْنَى وَالْوَظِيفَةِ النَّفْسِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ لِلشَّاعِرِ، وَلَيْسَ عَلَى الشَّكْلِ التَّقْلِيدِيِّ فَقَطْ.

وَمِنْ مَلَامِحِ أُسْلُوبِ فَضْلٍ وَأَدَائِهَا اللُّغَوِيِّ:

- انْتِقَاءُ الْمُفْرَدَاتِ: اخْتَارَتْ فَضْلُ العَبدِيَّة مُفْرَدَاتِ أَشْعَارِهَا مِنْ أَلْفَاظِ طَبَقَةٍ عَلِيَّةِ الْقَوْمِ، أَوْ مُفْرَدَاتِ الْبَلَاطِ فِي جَانِبِهِ الِاجْتِمَاعِيِّ، بِجَزَالَةٍ وَوُضُوحٍ وَسَلَاسَةٍ، مَعَ خُلُوِّ أَلْفَاظِهَا مِنَ الْمُفْرَدَاتِ الْوَحْشِيَّةِ أَوِ الْحَشَوِيَّةِ أَوِ الْغَرِيبَةِ.
- تَأَثُّرُ الْمُعْجَمِ بِالْحَرَاكِ الِاجْتِمَاعِيِّ: تَنْتَمِي حُقُولُ أَلْفَاظِهَا إِلَى اللُّغَةِ الْمُهِمَّةِ مِنْ حَيْثُ الْإِيقَاعُ وَالْوَقْعُ، وَقَدْ عَادَلَتْ بِهَذِهِ الْحُقُولِ رُؤْيَةَ الْحُبِّ وَتَعَلُّقَاتِهِ، وَهُوَ نَوَاةُ نَصِّهَا الدِّلَالِيِّ الرَّئِيسِ.
- الْمَزْجُ بَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ: أَخَذَتِ الشَّاعِرَةُ شَيْئاً مِنَ الْمُعْجَمِ الْقَدِيمِ وَالتَّرَاكِيبِ التَّقْلِيدِيَّةِ الجاهزة، مَعَ تَأْنِيثِ الْقَصِيدَةِ تَأْنِيثاً طَيِّباً يُعَبِّرُ عَنْ رُؤْيَتِهَا الأُنثَوِيّةِ، كالذي جاء في مقطَّعتها(الأصفهاني،1371هـ-1952م، 18/163-164)، [من البحر البسيط]:

نفسي فداؤك طال العهد واتصلت	**منك المواعيد والليان[1] والخلف**
والله يعلم أنّي فيك ساهرةٌ	**ودمع عيني منها بارقٌ يكف**
فإن تكن خنت عهدي فوا أسفًا	**وقلّ منّي فيك الهمُّ والأسف**
وإن تبدّلت منّي غادرًا خلفا فليس	**منك وربُّ العرش لي خلف**

- غَلَبَةُ الْأَفْعَالِ الْمُضَارِعَةِ: غَلَبَ عَلَى أُسْلُوبِهَا اسْتِخْدَامُ الْأَفْعَالِ الْمُضَارِعَةِ (الْآنِيَّةِ وَالْمُسْتَقْبَلِيَّةِ)، لِتُعَبِّرَ عَنْ حَاضِرِهَا بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ.
- الْقُدْرَةُ عَلَى التَّكَيُّفِ اللُّغَوِيِّ: تَمَكَّنَتْ مِنَ الْإِقْلَالِ اللَّفْظِيِّ وَتَجْوِيدِ السَّبْكِ وَالْحَبْكِ، مَعَ تَزَيُّنِ أُسْلُوبِهَا بِمَقَادِيرَ مُحَدَّدَةٍ مِنَ الْبَدِيعِ الْعَرَبِيِّ.
- تَوَظِيفُ تَعْبِيرَاتِ الْعَصْرِ: الْتَقَطَتْ تَعْبِيرَاتِ عَصْرِهَا وَشَحَنَتْهَا بِدَلَالَاتٍ شِعْرِيَّةٍ، كَاسْتِخْدَامِ التَّكْرَارِ وَأَسَالِيبِ التَّوْكِيدِ.

وَمِنَ الْأَنْسَاقِ الْأُسْلُوبِيَّةِ الْبَارِزَةِ فِي شِعْرِهَا:

- الْقَسَمُ: لِتَأْكِيدِ مَشَاعِرِهَا وَمُعْتَقَدَاتِهَا.
- التَّكْرَارُ: لِتَرْجِيعِ الْبَوْحِ وَتَثْبِيتِ الْمَعْنَى.
- كَثْرَةُ أَدَوَاتِ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ وَأَحْرُفِ التَّعْلِيلِ.
- بُرُوزُ النُّعُوتِ الْمَحْسُوسَةِ: الَّتِي تُدْرِكُهَا الْحَوَاسُّ.

وَبِذَلِكَ، تَظْهَرُ بَصْمَةُ فَضْلٍ الْأُسْلُوبِيَّةُ الْوَاضِحَةُ، الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ أَصَالَةِ اللُّغَةِ وَحَدَاثَةِ التَّعْبِيرِ، وَتُؤَكِّدُ مَنزِلَتَهَا الْأَدَبِيَّةَ الْمُتَمَيِّزَةَ.

تَحلِيلُ الصُّورَةُ الفَنِّيَّةُ:

لا يَنْبَغِي تَوَقُّعُ أَنْ يُقَدِّمَ شِعْرُ فَضْلِ العَبْدِيَّة – بِاعْتِبَارِهَا وَاحِدَةً مِنْ أَبْرَزِ شَواعر عَصْرِهَا – نُصُوصاً مُذْهِلَةً بِالْمَعْنَى الَّذِي يَسْتَدْعِي التَّحْلِيلَ التَّأْوِيلِيَّ الْمُكْثَفَ، وربَّما نضطَّرُّ أن نتقبَّل –عَلَى كُرْهٍ– حُكُوْمَاتِ مَنْ قَالُوا: "أَنَّ النِّساء أعجز عن

(1) -الومضة الشعرية: "لحظة أو مشهد أو موقف أو إحساس شعري خاطف يمر في المخيلة أو الذهن يصوغه الشاعر بألفاظ قليلة" (قادري وكياني، 2010م، 1).

الابتكار حتَّى في الخياطة والطَّهو والغناء والرَّقص!"(الحوفي، 1980م، 684)، مردّدين –بإكراه– مقولة بشار بن برد: "لم تقل امرأة شعراً إلَّا وظهر الضَّعف فيه"(المبرد، 1417هـ–1997م، 30)، فَقَدْ لَاحَظَتْ بَعْضُ الدِّرَاسَاتِ أَنَّ الرَّصِيدَ الْجَاهِزَ مِنَ الصُّوَرِ الشِّعْرِيَّةِ الَّتِي دَأَبَ عَلَيْهَا الشُّعَرَاءُ امْتَدَّ تَأْثِيرُهُ إِلَى شِعْرِ النِّسَاءِ، خَاصَّةً فِي مُقَدِّمَاتِ الْأَبْيَاتِ وَأَنْمَاطِهَا الْمُخْتَلِفَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَكْتَفِ فَضْلٌ بِمُجَرَّدِ تَقْلِيدِ مَا كَانَ مُتَدَاوَلاً بَيْنَ شَواعر الْعَرَبِ؛ بَلْ حَافَظَتْ عَلَى بَصْمَتِهَا الْفَنِّيَّةِ وَأُسْلُوبِهَا الشِّعْرِيِّ الْخَاصِّ، مَعَ الْحِرْصِ عَلَى تَحْسِينِ أَدَوَاتِهَا التَّعْبِيرِيَّةِ وَتَزْيِينِهَا بِمَا يَتَوَافَقُ مَعَ قُدُرَاتِهَا، وَبِذَلِكَ نَجَحَتْ فِي أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَ الِالْتِزَامِ بِالتَّقَالِيدِ الشِّعْرِيَّةِ وَالْتَمَيُّزِ الشَّخْصِيِّ، وَهُوَ مَا يَجْعَلُ نُصُوصَهَا قَابِلَةً لِلْقِرَاءَةِ ضِمْنَ مَنْظُورٍ نَقْدِيٍّ حَدَاثِيٍّ يَرْكِزُ عَلَى الْفِكْرَةِ وَالْمَعْنَى الدَّاخِلِيِّ لِلأَبْيَاتِ، لَا عَلَى الشَّكْلِ التَّقْلِيدِيِّ وَحْدَهُ، وَمِن أَبْرَزِ مَلَامِحِ الصُّورَةِ الْفَنِّيَّةِ عِنْدَهَا:

تَفْعِيلُ الْبُعْدِ الاسْتِعَارِيِّ: كَمَا فِي قَوْلِهَا فِي السَّحَرِ (الأصفهاني، 1371هـ–1984م، 66)، [مِنْ مَجْزُوءِ الرَّمَلِ]:

قَدْ بَدَا شَبْهُكَ يَا مَوْ لَايَ يُحْدُو بِالظَّلَامِ
قُمْ بِنَا نُقْضِ لِبَانَا تِ التَّثَامِ وَالْتِزَامِ
قَبْلَ أَنْ تُفْضَحَنَا عَوْ دَةُ أَرْوَاحِ النِّيَامِ

حَيْثُ تَتَضَافَرُ الصُّورَةُ الْبَصَرِيَّةُ مَعَ الْإِيقَاعِ وَالتَّنَاصِّ مع بيت امرئ القيس لِتَخْلُقَ مَشْهَداً شِعْرِيّاً مُكْثَفاً.

الِاعْتِمَادُ عَلَى التَّشْبِيهِ: وَيُعَدُّ أَحَدَ مَرْتَكَزَاتِ بِنَاءِ الصُّورَةِ الْفَنِّيَّةِ لَدَيْهَا، كَقَوْلِهَا فِي وَصْفِ "قَبِيحَةَ"(الأصفهاني، 1371هـ–1952م، 19/ 311) [من البحر السَّريع]:

سَلَافَةٌ كَالْقَمَرِ الْبَاهِرِ فِي قَدَحٍ كَالْكَوْكَبِ الزَّاهِرِ
يُدِيرُهَا خِشْفٌ كَبَدْرِ الدُّجَى فَوْقَ قَضِيبٍ أَهْيَفٍ نَاضِرِ

وَقَوْلِهَا فِي وَصْفِ سَعِيدِ بْنِ حُمَيْدٍ(الأصفهاني، 1371هـ–1984م، [من مجزوء الكامل]:

يَا مَنْ حَكَاهُ الْيَاسَمِينُ وَطِيبُ رِيحِ النَّرْجَسِ

مَحْدُودِيَّةُ الاسْتِعَانَةِ بِالْكِنَايَةِ: بِلَا إِفْرَاطٍ، مَعَ حُسْنِ تَوْظِيفِهَا حَيْثُ تَجِدُ، كَقَوْلِهَا(الأصفهاني، 1404هـ–1984م، 61)، [من البحر الكامل]:

وَالدُّرُّ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَرْبَابَهُ حَتَّى يُؤَلَّفَ بِالنِّظَامِ وَيُثْقَبَ

الِاحْتِفَاءُ بِبَدِيعِ اللُّغَةِ: بِمَقَادِيرَ مُحَدَّدَةٍ ذَاتِ وَظِيفَةٍ دِلَالِيَّةٍ، كَالتَّصْرِيعِ وَغَيْرِهِ، مَعَ حِرْصِهَا عَلَى الْكَثَافَةِ وَالْإِيجَازِ.

وقد أدَّت تراكيب البيتين من جمل إنشائيَّة وتأكيدات، والتماثلات الصَّوتيَّة والتراكيب المتوازية مما يلحظ في عجزي البيتين الآتيين (الأصفهاني، 1404هـ–1984م، 61)، [من البحر الكامل]:

إنَّ المطيَّة لا يلذُّ ركوبها حتّى تذلَّل بالزِّمام وتُركب
والدرُّ ليس بنـافعٍ أربابه حتَّى يؤلَّف بالنظام ويُثقب

"ما لم –حتَّى، تذلل – يؤلّف، بالزّمام –للنّظام، وتركب– بمثقب" دورها في تعضيد الصُّورة وحسن سبكها، وتندفَّع فضل – بطبيعة المرأة الصّناع عمومًا، وتأثُّراً ببديع أحوالها الاجتماعيَّة– إلى نول "البديع" العربي لتنسج نفثاتها الشِّعريَّة من سداة زخارف البديع وقمّة زركشاته بمقاديرٍ محدَّدةٍ وذات وظيفة دلاليَّة تعادل –أحيانًا– الرُّؤية الَّتي أرادتها الشَّاعرة؛ حيث تلحظ الأذن مجيء التصريع في نتفها الشِّعريَّة، وكأنَّنا مقدمون على سماع قصيدةٍ أو مطوَّلةٍ؛ إذ بنا أمام بيتين أو ثلاثة أو أربعة أبيات، وكأنَّ فضل وهي الأكثر بروزًا في هذا الأمر– أرادت أن تضغط القصيدة في نتفةٍ أو أن تخبرنا أنَّ نتفها حاملة لكلّ ملامح القصيدة الوراثيَّة، أو ما يسمّى بقصيدة الومضة[1]، فعندما يكون الشاعر في موقف يتطلّب منه ارتجال الشعر بطلب

(1)-الأوزان القومية: "هناك أوزان للشعر كثيرة الشيوع مألوفة محبوبة يطرقها كل الشعراء، وينسجون عليها معظم أشعارهم، وشرط تسمية الوزن الشعري بالوزن القومي هو أن يكون كثير الشيوع مألوفًا" (أنيس، 1952، 186).

من أصحاب السلطة يصبح ما يقدّمه من مقطعات فنية دليل على سرعة الاستجابة وقدرة على تكثيف المعنى، وتركيز على تفاصيل معيَّنة، حيث تنسج "القصيدة القصيرة من جهة الكثافة، وعدد السطور فتقوم الومضة على الإدهاش البصري واللغوي، يجمعهما الكثافة والإيحاء والقفلة المدهشة" (الديوب، د/تا،5)، كقولها، (الأصفهاني، 1404هـ–1984م، 82)، [من البحر المنسرح]:

يا عاليَّ السِّنِّ سيء الأدبِ شبتَ وأنتَ الغلامُ في الطَّرَبِ

و(الأصفهاني، 1404هـ–1984م، 79)، [من البحر الكامل]

يَا مَنْ أَطَلْتُ تَـفَـرُّسِـي فِـي وَجْـهِـهِ وَتَـنَـفُّـسِـي

و(الأصفهاني، 1404هـ–1984م، 71)، [من البحر البسيط]:

قالوا لنا بالقاطولِ مشتانا ونحنُ نأملُ صنع الله مولانا

ومن روائع تصويرها قولها، تعترف لسعيد بن حميد، واصفة ما بها، (الأصفهاني، 1404هـ–1984م، 67)، [من البحر الوافر]:

بثثت هواكَ في جسدي وروحي فألّف فيهما طمعًا بيأس

ولا تزال فضل تستشرف موارد البديع كقولها(الأصفهاني، 1404هـ–1984م، 68)، [من البحر الطويل]:

أعوذ بحسن الصَّفحِ منكم وقبلنا بصفحٍ وعفوٍ ما تعوَّذَ مذنبِ

وَهَكَذَا نَجِدُ أَنَّ الشاعرة فَضْلُ العَبدِيَّة كانت قد أبدعت فِي إِنْتَاجِ صُوَرِهَا الْفَنِّيَّة؛ إذ اتَّسَمَتْ صُوَرُهَا بِالْفَخَامَةِ وَالْبَسَاطَةِ فِي آنٍ وَاحِدٍ، وَقَدِ اسْتَقَتْ تَشْبِيهَاتِهَا مِنْ مُحِيطِهَا البلاطي، وَظَهَرَ الذَّوْقُ الأُنثَوِيّ جَلِيّاً فِي اخْتِيَارِهَا لِلصُّوَرِ وَالْكِنَايَاتِ، وَهُوَ أَمْرٌ يُمَيِّزُ إِنْتَاجَهَا الشِّعْرِيَّ فِي الْبَلَاطِ الْعَبَّاسِيّ آنَذَاكَ.

تَحلِيلُ الْمُوسِيقَا الشِّعْرِيَّةِ:

لَمْ يَتَبَقَّ مِنْ شِعْرِ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ سِوَى أَطْلَالِ نُصُوصِهَا؛ إِذْ طَوَى الزَّمَنُ كَثِيراً مِنْ أَعْمَالِهَا، وَغَابَتْ أَحْلَامُهَا عَنِ الدِّيْوَانِ الْمَزْمُوعِ، وَمَعَ ذَلِكَ، يَظْهَرُ جَلِيّاً أَنَّ الشَّاعِرَةَ امْتَلَكَتْ نَاصِيَةَ الْإِبْدَاعِ قَبْلَ دُخُولِهَا إِلَى الْقَصْرِ؛ إِذْ قَامَتْ مُؤَدِّبَاتُهَا بِتَثْقِيفِهَا شِعْرِيّاً، وَقَوَّمْنَ سَنَادَهَا وَمَيَّزْنَ قُدُرَاتِهَا، وَأَبْدَعْنَ فِي صَقْلِ حِسِّهَا الْفَنِّيّ، حَتَّى أَسْبَغَ لَقَبُ "الشَّاعِرَةِ" عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ الْمُتَوَكِّلَ، وَقَدْ نَالَتْ أَبْيَاتُهَا اسْتِحْسَاناً وَتَقْدِيراً مِنْ شُعَرَاءَ وَعَازِفِينَ فِي الْبَلَاطِ مِثْلَ عَرِيبٍ.

إِنَّ امْتِلَاكَ فَضْلٍ لِمَقَوِّمَاتِ الشِّعْرِ وَأَدَوَاتِهِ قَبْلَ دُخُولِهَا الْبَلَاطَ مَكَّنَهَا مِنْ تَعْزِيزِ هَذِهِ الْإِمْكَانَاتِ خِلَالَ فَتْرَةِ إِقَامَتِهَا، سَوَاءٌ عن طريق الِاحْتِكَاكِ بِالْعُلَمَاءِ وَالنُّقَّادِ وَالْمُلَحِّنِينَ، أَوْ عن طريق مُتَابَعَةِ شُعَرَاءِ الْبَلَاطِ كَعَرِيبٍ، وَسَعِيدِ بْنِ حُمَيْدٍ، وَبَنَانِ بْنِ عَمْرٍو، هَذَا التَّكْوِينُ الْمِهْنِيُّ وَالْإِبْدَاعِيُّ جَعَلَ قِرَاءَتَهَا لِنُصُوصِهَا تَتَجَاوَزُ مُجَرَّدَ الْإِحْصَاءِ الْعَرُوضِيّ وَالْمُوسِيقِيّ الْخَارِجِيّ لِلْأَبْيَاتِ، إِلَى تَأَمُّلٍ فِي مَرُونَةِ الْمَرْأَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الشِّعْرِ الْكِلَاسِيكِيّ، وَقُدْرَتِهَا عَلَى مُمَارَسَةِ أَنْوَاعٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ الْبَحْرِ وَالشَّكْلِ الشِّعْرِيّ دُونَ حَصْرِ نَفْسِهَا فِي بَحْرٍ أَوْ قَالَبٍ مُعَيَّنٍ.

وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ فَضْلَ الْعَبْدِيَّةِ تَمِيلُ إِلَى مَا سَمَّاهُ إِبْرَاهِيمُ أَنِيسٍ "الْأَوْزَانِ الْقَوْمِيَّةِ"[1]، فَقَدْ شَيَّدَتْ أَشْعَارَهَا بِتِسْعَةِ أَبْنِيَةٍ شِعْرِيَّةٍ: (الطَّوِيلِ، الْبَسِيطِ، الْكَامِلِ، السَّرِيعِ، الْمُنْسَرِحِ، الرَّمَلِ، الرَّجَزِ، الْوَافِرِ، وَالْخَفِيفِ)، مَعَ احْتِمَالِ تَجْرِبَتِهَا لِبَقِيَّةِ الْبُحُورِ، وَقَدْ كَانَ اسْتِخْدَامُهَا لِلْبُحُورِ مُتَنَوِّعاً، مَعَ مَيْلٍ جُزْئِيّ نَحْوَ الْمَجْزُوءِ فِي الرَّمَلِ، وَاكْتِفَاءٍ بِأَنْوَاعٍ مُحَدَّدَةٍ مِنَ الطَّوِيلِ وَالْبَسِيطِ.

أَمَّا مِنْ نَاحِيَةِ الْقَافِيَةِ، فَقَدِ اسْتَخْدَمَتِ الشَّاعِرَةُ اثْنَيْ عَشَرَ حَرْفاً هِجَائِيّاً عَرَبِيّاً فِي بِنَاءِ أَبْيَاتِهَا، مَعَ تَرْتِيبٍ وَاضِحٍ فِي ظُهُورِ الْأَصْوَاتِ، مَا يَعْكِسُ وَعْيَهَا الْعَمِيقَ بِالْجَانِبِ الْمُوسِيقِيّ لِلشِّعْرِ: الْأَلِفُ أَوَّلاً، ثُمَّ الْبَاءُ وَالرَّاءُ وَالنُّونُ، يَلِيهَا الدَّالُ وَالسِّينُ وَالْمِيمُ، ثُمَّ الذَّالُ وَالْفَاءُ وَالْقَافُ، وَأَخِيراً الْهَاءُ وَالْيَاءُ، يظهر هَذَا التَّنْظِيمُ حِرْصُ فَضْلٍ عَلَى الِاسْتِفَادَةِ مِنَ الْمَوَارِدِ الصَّوْتِيَّةِ

*أستاذ – قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اللاذقية، اللاذقية، سورية.

الْمُتَاحَةِ، حَتَّى مَعَ نَدْرَةِ بَعْضِ الْأَصْوَاتِ، بِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ تَحَدِّيَاتِهَا الشِّعْرِيَّةِ فِي بِيئَةٍ مَلِيئَةٍ بِالْمُتَرَبِّصِينَ وَالنُّقَّادِ، وَاللَّافِتُ لِلنَّظَرِ أَنَّ مُوسِيقَا فَضْلٍ الشِّعْرِيَّةَ خَلَتْ مِنَ الْأَخْطَاءِ الْعَرُوضِيَّةِ وَالْقَافِيَةِ، وَمِمَّا يَجْدُرُ التَّأْكِيدُ عَلَيْهِ أَنَّ فَضْلاً شَيَّدَتْ أَشْعَارَهَا عَلَى أَبْنِيَةِ الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي عُمْقِهَا الْجَاهِلِيِّ وَدَوْلَةِ الْعَرَبِ، وَبَعُدَتْ عَمَّا أَصَابَ الْعَرُوضَ مِنْ لِيُونَةٍ تَاهَ بِهَا جُلُّ الْمُوَلَّدِينَ مِنْ شُعَرَاءِ ذَلِكَ الْعَصْرِ، وتدرك فضل –شأنها شأن شعراء العربيَّة القدامى– ما انتحلناه في عصرنا الحديث أنَّ لكلِّ نصٍّ إيقاعه الخاصَّ، حيث أنَّ الوزن جزء من موسيقا النَّصّ الشِّعريَّة، وهو الإطار الخارجي لها، ولا بدَّ للنَّصِّ ما يحقِّق تكامل إيقاعه، وهو ما عناه ابن طباطبا العلوي حين قال: "وللشِّعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه، وما يرد عليه من حسن تركيبه، واعتدال أجزائه"(ابن طباطبا، 1956م، 15)، وَفِي مَا يَلِي تَحلِيلُ مُقَطَّعَةٍ مِنَ الْقِطَعِ الَّتِي اسْتَحْسَنَهَا ابْنُ الْجَرَّاحِ وَاللَّاحِقُونَ لِلتَّدْلِيلِ عَلَى جَوْدَةِ شَاعِرِيَّتِهَا، قَوْلُهَا فِي السِّحْرِ الأصفهاني، 1371هـ–1984م، 66)، [مِنْ مَجْزُوءِ الرَّمَلِ]:

قَدْ بَدَا شَبْهُكَ يَا مَوْ لَايَ يُحْذُو بِالظَّلَامِ
قُمْ بِنَا نُقْضِ لِبَانَا تِ التَّثَـامِ وَالْـتِزَامِ
قَبْلَ أَنْ تُفْضَحَنَا عَوْ دَةُ أَرْوَاحِ النِّيَـامِ

وَقَبْلَ أَنْ نَرَى تَطَابُقَ رُؤْيَةِ الشَّاعِرَةِ بِأَدَاتِهَا، نَذْكُرُ مَظَاهِرَ الْأَدَاةِ هُنَا:

- بُنِيَ النَّصُّ عَلَى مَجْزُوءِ بَحْرِ الرَّمَلِ بِعَرُوضٍ صَحِيحَةٍ وَضَرْبٍ صَحِيحٍ.
- تَوَزَّعَتْ أَسْبَابُ النَّصِّ وَأَوْتَادُهُ السِّتَّةُ وَالثَّلَاثُونَ بِتَرْتِيبٍ مُحْكَمٍ.
- جَرَى النَّصُّ عَلَى ثَلَاثِ مَقَاطِعَ صَوْتِيَّةٍ رَئِيسَةٍ.
- اسْتَخْدَمَتْ فَضْلُ العَبدِيَّة فِي هَذَا النَّصِّ وَاحِداً وَعِشْرِينَ صَوْتاً.
- ازْدَادَتْ سُرْعَةُ النَّصِّ الْإِيقَاعِيَّةِ تَدْرِيجِيّاً حَتَّى بَلَغَتْ أَعْلَاهَا فِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ.
- يُلْحَظُ مَا فِي النَّصِّ مِنْ مَحْسِّنَاتٍ بَدِيعِيَّةٍ كَالْجِنَاسِ.
- يُلْحَظُ وَرُودُ تَنَاصٍّ أَدَبِيٍّ مَعَ شِعْرِ امْرِئِ الْقَيْسِ، فقد امتصَّت في البيت الثَّاني مطلع بائيَّة امريء القيس(امرؤ القيس، 1425هـ–2004م، 74)، [من البحر الطويل]:

خليليَّ مرَّا بي على أمِّ جندب نقضُّ لبانات الفؤاد المعذَّب

- أَبْدَعَتِ الشَّاعِرَةُ فِي إِعَادَةِ إِنْتَاجِ الصُّورَةِ الشِّعْرِيَّةِ.
- تَمَيَّزَ مُعْجَمُ النَّصِّ بِالْجَزَالَةِ وَالْوُضُوحِ.
- اعْتَمَدَتِ الشَّاعِرَةُ عَلَى الْمُقَطَّعَاتِ الْقَصِيرَةِ كَوِعَاءٍ رَئِيسٍ لِطَرْحِهَا الشِّعْرِيِّ.
- وَمِنَ الْوَاضِحِ تَنْوِيعُ الشَّاعِرَةِ بَيْنَ الْأَحْرُفِ الْهَمْسِيَّةِ وَالْجَهْرِيَّةِ، وَاسْتِخْدَامُهَا لِلْجِنَاسِ النَّاقِصِ، وَاخْتِيَارُهَا لِقَوَافٍ مُوسِيقِيَّةٍ تُغْنِي النَّغَمَ، وَقَدْ أَبْدَعَتْ فَضْلُ العَبدِيَّة فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَبِذَلِكَ صَلَحَ شِعْرُهَا لِلْغِنَاءِ.

وَأَمَّا عَنْ نَظْمِ فَضْلٍ لِلْمُقَطَّعَاتِ، فَرُبَّمَا يَكُونُ تَفْسِيرُهُ كَمَا أَشَارَ عِزُّ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ إِلَى اسْتِفَاضَةِ شَكْلِ الْمُقَطُّوعَةِ الشِّعْرِيَّةِ الَّتِي تُعَبِّرُ عَنْ خَاطِرٍ عَابِرٍ أَوْ شُعُورٍ حَادٍّ فِي لَحْظَةٍ مِنَ اللَّحَظَاتِ، دُونَ أَنْ يُوَسَّعَ فِيهِ أَوْ يُوَلَّدَ مِنْهُ مَا يَصْنَعُ قَصِيدَةً مُطَوَّلَةً (إسماعيل، 1975م، 419).

الْخَاتِمَةُ:

اِسْتَهْدَفَ هَذَا الْعَمَلُ الْكَشْفَ عَنِ الْمَنْزِلَةِ الْأَدَبِيَّةِ لِلشَّاعِرَةِ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيّ الثَّانِي، وَتَحْلِيلَ مَلَامِحِ تَجْرِبَتِهَا الشِّعْرِيَّةِ فِي ضَوْءِ مَنْهَجٍ نَقْدِيٍّ وَصْفِيٍّ تَحْلِيلِيٍّ يَسْتَنِيرُ بِالْمَفَاهِيمِ الْحَدَاثِيَّةِ لِلذَّاتِ الشِّعْرِيَّةِ وَالْهُوِيَّةِ الأُنثَوِيَّةِ، مَعَ رَبْطِ نَتَاجِهَا الْفَنِّيِّ بِالسِّيَاقِ الاِجْتِمَاعِيِّ وَالثَّقَافِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ لِعَصْرِ الْمُتَوَكِّلِ، وَقَدْ سَعَى الْبَحْثُ إِلَى تَحْقِيقِ جُمْلَةٍ مِنَ الْأَهْدَافِ أَبْرَزُهَا:

بَيَانُ خَصَائِصِ تَجْرِبَتِهَا الْفَنِّيَّةِ وَالْأُسْلُوبِيَّةِ، وَإِيضَاحُ مَظَاهِرِ الْحُضُورِ الأُنثَوِيِّ فِي بِيئَةٍ يَغْلِبُ عَلَيْهَا الْخِطَابُ الذُّكُورِيُّ، وَإِبْرَازُ إِسْهَامِ الْمَرْأَةِ الشَّاعِرَةِ فِي تَشْكِيلِ الْبُنْيَةِ الْجَمَالِيَّةِ لِلْأَدَبِ الْعَبَّاسِيّ.

وَقَدْ خَلَصَتِ الدِّرَاسَةُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَهْدَافَ قَدْ تَحَقَّقَتْ بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ؛ إِذْ مَكَّنَتِ الْقِرَاءَةُ التَّحْلِيلِيَّةُ مِنْ تَحْدِيدِ مَوْقِعِ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ فِي الْمَشْهَدِ الْأَدَبِيِّ الْعَبَّاسِيِّ بِوَصْفِهَا نُمُوذَجاً نِسْوِيّاً مُتَمَيِّزاً اسْتَطَاعَ أَنْ يُوَازِنَ بَيْنَ الاِنْتِمَاءِ لِلتُّرَاثِ وَالاِنْفِتَاحِ عَلَى الْإِبْدَاعِ الذَّاتِيِّ، كَمَا أَثْبَتَ الْبَحْثُ أَنَّ نَتَاجَهَا الشِّعْرِيَّ يُمَثِّلُ وَثِيقَةً فَنِّيَّةً وَثَقَافِيَّةً تُعَبِّرُ عَنْ وَعْيِ الْمَرْأَةِ الشَّاعِرَةِ فِي سِيَاقٍ سُلْطَوِيٍّ ذُكُورِيٍّ، وَتُؤَكِّدُ قُدْرَتَهَا عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الذَّاتِ وَالْوَاقِعِ بِلُغَةٍ شِعْرِيَّةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ الْجَزَالَةِ وَالدِّقَّةِ وَالْعُمْقِ الْوِجْدَانِيِّ، وَقَد خَلُصَتِ الدِّرَاسَةُ إِلَى تَثْبِيتِ مَنْزِلَةِ الشَّاعِرَةِ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ فِي الْمَشْهَدِ الْأَدَبِيِّ الْعَبَّاسِيِّ الثَّانِي، مَعَ إِبْرَازِ خَصَائِصِ تَجْرِبَتِهَا الشِّعْرِيَّةِ وَأُسْلُوبِهَا الْمُمَيَّزِ، وَتَظْهَرُ النَّتَائِجُ الَّتِي تَوَصَّلَ إِلَيهَا العَمَلُ مَا يَلِي:

- تَحَقُّقُ الْهُوِيَّةِ الْأُنْثَوِيَّةِ الْمُسْتَقِلَّةِ: أَسْهَمَتِ الشَّاعِرَةُ فَضْلُ العَبدِيَّة فِي بِنَاءِ صَوْتٍ شِعْرِيٍّ أُنْثَوِيٍّ مُتَفَرِّدٍ، تَجَاوَزَتْ بِهِ الْقَوَالِبَ الاِجْتِمَاعِيَّةَ السَّائِدَةَ، مَعَ حِفْظِهَا عَلَى أَصَالَةِ التَّعْبِيرِ وَعُمْقِ الاِنْتِمَاءِ التُّرَاثِيّ.
- التَّمَيُّزُ الْأُسْلُوبِيُّ وَالْبُنْيَةُ الْفَنِّيَّةُ: تَجَلَّتْ بَصْمَتُهَا الشِّعْرِيَّةُ فِي انْتِقَاءِ الْأَلْفَاظِ الْجَزْلَةِ، وَتَوْظِيفِ الصُّوَرِ الْمُكْثَفَةِ، وَالْإِحْكَامِ الْإِيقَاعِيِّ الَّذِي أَكْسَبَ شِعْرَهَا طَابَعاً فَنِّيّاً رَفِيعاً.
- تَجْسِيدُ التَّجْرِبَةِ الْوِجْدَانِيَّةِ بِوَعْيٍ فَنِّيٍّ: مَثَّلَتْ قَصَائِدُهَا مِرْآةً لِتَجْرِبَتِهَا النَّفْسِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ، عَبَّرَتْ فِيهَا عَنْ مَزِيجٍ مِنَ الْخُضُوعِ الْوَاعِي وَالْبَحْثِ عَنِ الاِسْتِقْلَالِيَّةِ الذَّاتِيَّةِ.
- التَّفَاعُلُ مَعَ السِّيَاقِ الثَّقَافِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ: جَاءَ شِعْرُهَا مُعَبِّراً عَنْ وَاقِعِ الْقَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ وَمَجَالِسِهِ، مُوَثِّقاً لِمَظَاهِرِ الْحَيَاةِ الْأَدَبِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ والعاطفية فِي بَلَاطِ الْمُتَوَكِّلِ، مِمَّا جَعَلَهُ مَصْدَراً تَارِيخِيّاً ذَا قِيمَةٍ أَدَبِيَّةٍ عَالِيَةٍ.

وَمِن أَهَمِّ الْمُقْتَرَحَاتِ

- دِرَاسَةُ أَثَرِهَا فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ: مِنْ خِلَالِ تَتَبُّعِ حُضُورِهَا فِي الْمَصَادِرِ التُّرَاثِيَّةِ وَتَحْلِيلِ انْعِكَاسِ شِعْرِهَا فِي الْإِبْدَاعِ الأُنثَوِيِّ الْحَدِيثِ.
- إِجْرَاءُ دِرَاسَاتٍ مُقَارَنَةٍ: بَيْنَ تَجْرِبَتِهَا وَتَجَارِبِ الشَّاعِرَاتِ الْعَبَّاسِيَّاتِ الْأُخَرَيَاتِ، بِهَدَفِ رَسْمِ صُورَةٍ شَامِلَةٍ لِلْحَرَكَةِ الْأَدَبِيَّةِ الأُنثَوِيّةِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيّ.
- تَطْبِيقُ مَنَاهِجَ نَقْدِيَّةٍ حَدِيثَةٍ: كَمَنْهَجِ دِرَاسَاتِ الْجِنْدَرِ وَالنَّقْدِ، لِتَوْسِيعِ آفَاقِ تَحْلِيلِ نُصُوصِهَا وَاسْتِكْشَافِ مُسْتَوَيَاتٍ دِلَالِيَّةٍ جَدِيدَةٍ.
- جَمْعُ شِعْرِهَا فِي دِيوَانٍ مُحَقَّقٍ: يَجْمَعُ النُّصُوصَ الْمُتَنَاثِرَةَ فِي الْمَصَادِرِ التُّرَاثِيَّةِ تَحْقِيقاً وَدِرَاسَةً لِتَيْسِيرِ تَنَاوُلِهَا فِي الْبُحُوثِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ.

أَمَّا فِيمَا يَتَّصِلُ بِالْقِيمَةِ النَّقْدِيَّةِ فَتَمَثِّلُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ إِضَافَةً نَوْعِيَّةً إِلَى حَقْلِ الدِّرَاسَاتِ الْأَدَبِيَّةِ الأُنثَوِيّةِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ؛ إِذْ تُقَدِّمُ نُمُوذَجاً تَطْبِيقِيّاً لِقِرَاءَةِ النُّصُوصِ التُّرَاثِيَّةِ بِأَدَوَاتٍ نَقْدِيَّةٍ مُعَاصِرَةٍ، وَتَكْشِفُ عَنْ طَاقَاتِ التَّأْوِيلِ الْكَامِنَةِ فِي النَّصِّ الأُنثَوِيِّ الْعَبَّاسِيِّ، كَمَا تَفْتَحُ آفَاقاً بَحْثِيَّةً جَدِيدَةً لِقِرَاءَةِ الْأَدَبِ الْعَبَّاسِيِّ فِي ضَوْءِ مَنَاهِجِ النَّقْدِ الثَّقَافِيِّ، وَتُبْرِزُ الدَّوْرَ الْإِبْدَاعِيَّ لِلْمَرْأَةِ فِي صِيَاغَةِ الْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ الْعَرَبِيِّ.

وَتُؤَكِّدُ النَّتَائِجُ أَنَّ شِعْرَ فَضْلِ الْعَبْدِيَّةِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى قِيمَتِهِ التَّارِيخِيَّةِ؛ بَلْ يُمَثِّلُ وَثِيقَةً جَمَالِيَّةً وَإِنْسَانِيَّةً تُعَبِّرُ عَنْ تَفَاعُلِ الْإِبْدَاعِ الأُنثَوِيِّ مَعَ مُحِيطِهِ الْحَضَارِيِّ، وَتُبْرِزُ حُضُورَ الْمَرْأَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَاعِلِ فِي بِنَاءِ الْمَشْهَدِ الثَّقَافِيِّ فِي أَزْهَى عُصُورِ

الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ هَذِهِ الدِّرَاسَةَ تُسْهِمُ فِي إِعَادَةِ الِاعْتِبَارِ لِصَوْتٍ شِعْرِيٍّ نِسْوِيٍّ ظَلَّ حَبِيسَ الْهَوَامِشِ، لِتُقَدِّمَهُ بِوَصْفِهِ جُزْءاً أَصِيلاً مِنَ النَّسِيجِ الْأَدَبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ.

قَائِمَةُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ:

(1)–الْمَصَادِرُ:

1. الْأَصْفَهَانِيُّ، أَبُو الْفَرَجِ. (1952). الْأَغَانِي. تَحْقِيق: عَبْدِ الْكَرِيمِ إِبْرَاهِيمَ الْعَزْبَاوِيِّ وَمَحْمُودِ مُحَمَّدٍ غُنَيْمٍ. إِشْرَاف: مُحَمَّدَ أَبِي الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمَ، ط2، مَطْبَعَةُ دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ.
2. الْأَصْفَهَانِيُّ، أَبُو الْفَرَجِ. (1984). الْإِمَاءُ الشَّوَاعِرُ. تَحْقِيق: د. جَلِيلِ الْعَطِيَّةِ، ط1، دَارُ النِّضَالِ لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، بَيْرُوتُ– لُبْنَانُ.
3. الْبَغْدَادِيُّ، أَبُو أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْخَطِيبِ. (1931). تَارِيخُ بَغْدَادَ، مَطْبَعَةُ الْخَانَجِيِّ، الْقَاهِرَةُ وَالْمَكْتَبَةُ الْعَرَبِيَّةُ، بَغْدَادُ.
4. الْبَكْرِيُّ. (1983). مُعْجَمُ مَا اسْتَعْجَمَ مِنْ أَسْمَاءِ الْبِلَادِ وَالْمَوَاضِعِ، تَحْقِيق: مُصْطَفَى السَّقَّا، ط3، عَالَمُ الْكُتُبِ، بَيْرُوتُ.
5. ابن الْجَوْزِيُّ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ. (1995). الْمُنْتَظَمُ فِي تَارِيخِ الْمُلُوكِ وَالْأُمَمِ، دِرَاسَةٌ وَتَحْقِيق: مُحَمَّدِ عَبْدِ الْقَادِرِ عَطَا وَمُصْطَفَى عَبْدِ الْقَادِرِ عَطَا، رَاجَعَهُ: نَعِيمُ زَرْزُورٌ، ط2، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بَيْرُوتُ – لُبْنَانُ.
6. الذَّهَبِيُّ، الْإِمَامُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ. (1997). سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، تَحْقِيق: مُحِبِّ الدِّينِ سَعِيدِ عُمَرَ بْنِ غَرَامَةَ الْعَمْرَوِيِّ، ط1، دَارُ الْفِكْرِ، بَيْرُوتُ– لُبْنَانُ.
7. السُّيُوطِيُّ، جَلَالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ. (2004). كِتَابُ تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ، تَحْقِيق: حَمْدِي الدَّمِرْدَاشِ، مَكْتَبَةُ نِزَارِ مُصْطَفَى الْبَازِ، تُرْكِيَا.
8. ابْنُ طَبَاطَبَا. (1956). عِيَارُ الشِّعْرِ، تَحْقِيق: د. طَهَ الْحَاجَرِيِّ وَد. مُحَمَّدِ زَغْلُولِ سَلَّامٍ، الْمَكْتَبَةُ التِّجَارِيَّةُ الْكُبْرَى، الْقَاهِرَةُ.
9. الْقَيْسُ، امْرُؤُ. (2004). الدِّيْوَانُ، اعْتَنَى بِهِ وَشَرَحَهُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُصْطَاوِيُّ، ط2، دَارُ الْمَعْرِفَةِ، بَيْرُوتُ – لُبْنَانُ.
10. الْمُبَرِّدُ، أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ. (1997). الْكَامِلُ فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، عَارَضَهُ بِأُصُولِهِ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: مُحَمَّدُ أَبِي الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمَ، ط3، دَارُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ، الْقَاهِرَةُ.
11. الْمَسْعُودِيُّ، أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ. (د/تَا). مُرُوجُ الذَّهَبِ وَمَعَادِنُ الْجَوْهَرِ، ط1، نَشْرَ دَارُ الْأَنْدَلُسِ، بَيْرُوتُ.
12. ابْنُ الْمُعْتَزِّ، عَبْدُ اللَّهِ. (د/تَا). طَبَقَاتُ الشُّعَرَاءِ، تَحْقِيق: عَبْدِ السَّتَّارِ أَحْمَدَ الْفَرَّاجِ، دَارُ الْمَعَارِفِ، الْقَاهِرَةُ – مِصْرُ.
13. ابْنُ النَّدِيمِ، أَبُو الْفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ. (1971). الْفِهْرِسْتُ، تَحْقِيق: رِضَا تَجَدُّدَ، طِهْرَانُ.
14. النَّوَوِيُّ، ابْنُ شَرَفٍ. (د/تَا). فِي تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بَيْرُوتُ.

(2)–الْمَرَاجِعُ:

الْكُتُبُ:

1. إِسْمَاعِيلُ، عِزُّ الدِّينِ. (1975)، فِي الْأَدَبِ الْعَبَّاسِيِّ الرُّؤْيَةِ وَالْفَنِّ، دَارُ النَّهْضَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ، بَيْرُوتُ.
2. أنيس، إبراهيم، (1952)، موسيقا الشعر، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.
3. الحوفي، حمد محمد، (1980م)، المرأة في الشِّعر الجاهلي، دار نهضة مصر، القاهرة.

4. خليف، مي يوسف، (1991م)، الشعر النسائي في أدبنا القديم، مكتبة غريب، كلية الآداب، جامعة القاهرة، القاهرة.
5. دندراوي، قرشي عبَّاس، (2009)، فضل العبدية: حياتها وشعرها، ط1، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، سلسلة «المرأة العربية والإبداع»، القاهرة.
6. ضَيْفٌ، شَوْقِيٌّ. (1984). الْعَصْرُ الْعَبَّاسِيُّ الثَّانِي، ط5، دَارُ الْمَعَارِفِ، مِصْرُ.
7. الْعَمْرُوسِيُّ، فَائِدٌ. (1984). الْجَوَارِي الْمُغَنِّيَاتُ، ط3، دَارُ الْمَعَارِفِ، مِصْرُ.
8. الغذامي، عبد الله. (2005)، تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت–لبنان.

الْمَعَاجِمُ:

1. ابْنُ مَنْظُورٍ، أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ مَكْرُمَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَقَبَةَ الْأَنْصَارِيِّ، (د/تَا)، لِسَانُ الْعَرَب، طَبْعَةٌ مَصَوَّرَةٌ عَنْ طَبْعَةِ بُولَاقَ.
2. الْحَمَوِيُّ، شِهَابُ الدِّينِ يَاقُوتُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، (1978)، مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ، دَارُ الْعِلْمِ لِلْمَلَايِينِ، بَيْرُوتُ.

الْمَجَلَّاتُ وَالدَّوْرِيَّاتُ:

1. حامد، محمود رزق، (2009)، شعر فضل (العبدية) جارية المتوكل: جمع ودرس، مجلة الدراية (الدراية: مجلة الدراسات الإسلامية والعربية للبنين – جامعة الأزهر)، المجلد 10، العدد 10، الجزء الثاني.
2. الدِّيُوبُ، سَمَرُ، (د/تَا)، قَصِيدَةُ الْوَمْضَةِ بَيْنَ الشِّعْرِيَّةِ وَالسَّرْدِيَّةِ، دَوَاةٌ مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ تُعْنَى بِالْبُحُوثِ وَالدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ وَالتَّرْبَوِيَّةِ، سُورِيَا – حِمْصُ.
3. الدريس، هند بنت عبد الرحمن إدريس، (2014)، الومضة الشعرية من (الأبيجرام) إلى (القصيدة التفاعلية)، جامعة سوهاج، مجلة كلية الآداب، العدد (26).
4. العَلِي، أَحْمَد،(2023) ، أَثَرُ الرَّمْزِ فِي الأَدَبِ العَرَبِيّ الحَدِيثِ: تَمِيمُ البَرْغُوثِيّ أُنْمُوذَجاً، مَجَلَّةُ إِدْرَاكُ للدِّرَاسَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ.
5. قادري، سيد فضل وكياني، حسن، (2010م)، الومضة الشعرية وسماتها، مجلة اللغة العربية وآدابها –كلية الآداب– جامعة الكوفة، مجلد: 1، العدد: 9.